الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م في جنوب العراق ووسطه والموقف الإقليمي والدولي منها

محمد عباس حميد / مدرس مساعد/ مديرية تربية بابل

Mohamadabass064@gmail.com

07715836492

الملخص

كانت الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١ حداً فاصلاً في تاريخ العراق الحديث، ومعها كما يحلو للعراقيين أن يقولوا " حاجز الخوف انكسر " فخرجت الجماهير لأول مرة منذ عام ١٩٦٨م تنادي بسقوط صدام وسقوط حزب البعث الحاكم وسقوط الاستبداد المتمثل بشخص صدام حسين؛ الذي حول العراق الى سجن كبير الخارج منه مولود والباقي فيه مفقود، فقتل العلماء والمفكرين، وذبح الرجال والنساء، وقاد البعض منهم الى حروب طاحنة، قاتل بهم ايران، وغزا بهم الكويت من أجل النفط والارض. بعد كل ذلك فإن الانتفاضة ضده لأمر طبيعي للغاية؛ نتيجة تفاعلات داخلية لا بفعل عوامل خارجية، انتفاضة عفوية وغير منظمة في أصلها، ولم تكن بالمستوى المطلوب القيادات مشتت ومخترقة، الاهداف غير واضحة ، الدعم الديني لم يكن بتلك القوة ، العراقيون لم يهبوا بكافة اطيافهم لنفض غبار الدكتاتورية ، رسالة واضحة حصلت عليها القوى الإقليمية والدولية . اخراج صدام من الكويت وتكسير أنيابه العسكرية هدف معلن ووحيد . دون تقليم أظافره التي كانت تبطش بشعبة. حينما وقف الرئيس الأمريكي مكتوف اليدين تجاه عمليات قمع الانتفاضة؛ بعد تحريضه للخروج على السلطة في العراق، وباستطاعته فعل كل شيء، مع عدم السماح لإيران بالمضي قدماً في استثمار الانتفاضة. عوامل عديدة حالت دون تقديم الدعم للانتفاضة ابرزها الرفض العربي والذي كان يفضل بقاء صدام على تسلم الشيعة للحكم. لم تأتِ رياح التغير في هذه المرحلة، ليبقى الشعب العراقي أسير حكم الطاغية.

كلمات دالة / الانتفاضة، العراق، صدام

AL Shaabaniyya uprising of 1991 in southern and central Iraq and the regional and international stance towards it

Mohammed Abass Hameed / Assistant Lecturer / Babil Education Directorate

Summary

The 1991 popular uprising was a watershed in the modern history of Iraq, and with it, as Iraqis like to say, "the barrier of fear is broken," so the masses came out for the first time since 1968 CE, calling for the fall of Saddam, the fall of the ruling Baath Party, and the fall of the despotism represented by the person of Saddam Hussein; The one who turned Iraq into a large prison, the one out of which is born and the rest is lost, so he killed scholars and thinkers, slaughtered men and women, and led some of them into fierce wars, fought with them in Iran, and invaded Kuwait for the sake of oil and land. After all, the uprising against him is completely normal. As a result of internal interactions and not due to external factors, the uprising was spontaneous and unorganized in its origin, and the leadership was not at the required level, dispersed and penetrated, the goals are unclear, religious support was not that strong, the Iraqis did not rise in all their sects to shake off dust Dictatorship, a clear message obtained by regional and international powers. Removing Saddam from Kuwait and breaking his military teeth is a declared and only goal. Without trimming his nails that were clipping with a branch. When the US President stood by idle towards the suppression of the uprising After inciting him to come out of power in Iraq, he can do everything, while not allowing Iran to proceed with his exploitation of the uprising. Many factors prevented the provision of support for the uprising, the most prominent of which was the Arab rejection, which preferred the survival of Saddam Hussein over the Shiites assuming power. The winds of change did not come at this stage to keep the Iraqi people captive to the rule of the tyrant.

المقدمة

يحتاج التاريخ إلى عدة عقود لكتابته بطريقة يغلب عليها الموضوعية ، تقل فيها حرارة الحدث، وتظهر بعدها الوثائق الرسمية، وتكثر فيها الروايات والمذكرات التي يمكن بموازنة بعضها ببعض معرفة صورة ولو تقريبية للخطوط العريضة للأحداث. أما التفصيلات الدقيقة فستظل دوما مختلفاً بشأنها، ومن الصعوبة أن توجد رواية واحدة موثقة يتم اعتمادها والرجوع إليها. والأحداث التي شهدها العراق وبخاصة في المحافظات الجنوبية والوسطى عام ١٩٩١م شاهد على هذا النوع من الكتابات؛ فهي حقبة تاريخية مهمة في تاريخ الشعب العراقي الذي انتفض ضد الظلم والطغيان عام ١٩٩١ محاولا انهاء فترة نظام جائر عرف بالوحشية وكان قاب قوسين او اقرب من ذلك لولا التدخل الخارجي لمعاونة الطاغية صدام

والاسناد الامريكي له بالسماح لطائراته بقصف المدن والقضاء على الثوار في جميع المحافظات. ومن المؤكد انه لولا هذا التدخل الخارجي لأصبح الامر والواقع يختلف عليه عما هو الان ولكانت الانتفاضة قد وضعت الحلقة الاخيرة من مسلسل الدم والظلم والطغيان لهذا النظام الذي جثم على قلوب العراقيين لسنين طويلة بلا رحمة للمواطن العراقي . ومن هنا جاءت اهمية البحث لإعطاء صورة واضحة المعالم عن (الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م في جنوب العراق ووسطه والموقف الاقليمي والدولي منها) فقد قسم البحث الى مقدمة وخمس محاور وخاتمة، وسم المحور الاول بـ(الأسباب الممهدة للانتفاضة) وتناولنا فيه دكتاتورية صدام حسين في الحكم باضطهاده للشعب العراقي واحتلاله للكويت وآثار هذه الاحتلال على العراق، اما المحور الثاني فقد جاء بعنوان (اندلاع نار الانتفاضة) وتناولنا فيه ما حل بالعراق من دمار نتيجة طيش صدام وانتفاضة الشعب العراقي ضدة وقمعة للانتفاضة ولمعرفة مدى فاعلية التدخل الدولي والإقليمي في حماية الشعب العراقي من بطش النظام البعثي ومدى تأثير ذلك في مجريات الأحداث فقد تناول المحور الثالث الموقف الايراني من الانتفاضة الشعبانية وحمل المبحث المحور عنوان (موقف قوات التحالف) من الانتفاضة الشعبانية أما المحور الخامس والاخير فقد تناول دراسة نتائج الانتفاضة واسباب فشلها في تحقيق اهدافها. وقد استخدمنا المنهج الوصفي في أغلب مفاصل البحث والمنهج التحليلي والمقارن بحسب ما تقتضيه مادة الموضوع وما يلائمها من عرض، في محاولة للوصول للحقيقة التاريخية واستظهارها بصورة سليمة.

اشتق الموضوع مادته من مصادر معاصرة ومواقع الكترونية عدة، منها كتاب(العراق الشعب والتاريخ والسياسة) لجاريث ستانسفيلد، وكتاب (حرب الخليج أوهام القوة والنصر) لمحمد حسنين هيكل، وكتاب (انتفاضة الشعب العراقي ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) لماجد الماجد، وكتاب (شيعة العراق) لأسحق نقاش ترجمة: عبد الاله النعيمي، وكتاب (حطام البوابة الشرقية) لوفيق السامرائي، والنسخة الالكترونية من كتاب (الزلزال) لنجيب الصالحي.

ونسأله تبارك وتعالى أن نكون قد وفقنا في توظيف المادة التاريخية بما يحقق الفائدة والحمد لله رب العالمي

الأسباب الممهدة للانتفاضة

بدأ صدام حسين حكمه المطلق في تموز ١٩٧٩م بعد عزل سلفه احمد حسن البكر واستهله بقتل عدد من كبار رجال الدولة البعثيين يوم ٨ آب ١٩٧٩م . وكانت سياسته خليطاً من صحبته للعلم وقتله العلماء، وميله إلى الصلاح وقتل الصلحاء، ومناداته بالديمقراطية واتباعه السبل الدكتاتورية، واعمال صدام المتناقضة وسفكه للدماء بلا حساب كان القصد

منها تثبيت إرادته التي يموه بها عقول أصحابه فيعتقد الآخرون أن له أغراضاً صحيحة استأثر بعملها وتفرد عنهم بمعرفتها، وهو تمهيد لإعلان جهادتيه ضد أمريكا والكفار[١].

وكان قادته ومعاونوه أشد الناس تعرضاً لهذه النزعات الدموية، ولم يكن العامة بمنجاة منها؛ فكثير ما عرضوا للقتل الذريع لأقل الريب والذنوب، ولم يسلم من شروره حتى رجال الدولة والقصر حيث كانوا يرتجفون أمام هذه المذابح الدموية ويشاطرونهم هذا الخوف والرعب التجار ورجال الاعمال في الوقت نفسه [٢].

نجح صدام في الاحتفاظ بمركزه، باختيار الشخصيات التي يعينها في المناصب القيادية ضمن الحكومة والحزب والجيش بمزيد من الدقة والشك. فحتى اقارب صدام الذين منحهم سلطات واسعة طوال ثمانينيات القرن العشرين، أصبحوا موضع حذر، مما اضطره إلى الاعتماد على حلقة أضيق من المقربين، وأصبح حكم العراق عبارة عن مسألة عائلية، مع تعيين ابني صدام عدي وقصي في مراكز بارزة، إلى جانب أعضاء آخرين من عائلة المجيد المنتمية الى عشيرة البو ناصر[٣].

لقد تجسدت في ملامح المجتمع العراقي تحت الحكم الصدامي البعثي عملية الإذلال الكامل للإنسان، لتجد مجتمعاً لا يمسكه ببعضه إلا الخوف، وعدم القدرة على العثور على بصيص من الأمل بإسقاط أولئك الذين حكموا عليه بالظلام الدامس[٤].

وأثبت صدام قدرة فائقة على إزالة كل التهديدات والمحافظة على زعامته. وبقيت التهديدات من الشيعة في الجنوب محدودة، فيما استمرت الاجهزة الامنية القوية في قمع الاحزاب الشيعية[٥].

بعد تسلم صدام السلطة تزعم كتلة ملّخص فكرها هو الاستمرار بملاحقة عناصر حزب الدعوة وشن الحرب على إيران إن اقتضى الامر. وساعده في ذلك عناصر إقليمية وخاصة دول الخليج العربي التي رأت في وقتها ومن صالحها أن تحارب إيران. فقد قدمت لصدام في أثناء حريه مع إيران عام ١٩٨٠م كل العون المادي والمعنوي ولقبوه بحامي البوابة الشرقية، وقائد الأمة العربية، وغيرها من المسميات، ولم يفق العرب من خطأهم هذا إلا بعد احتلال صدام لدولة الكويت[٦].

روج نظام البعث لفكرة أن العراقيين حراس البوابة الشرقية في أثناء الحرب العراقية الإيرانية وبعدها، لم تكن شكلا من أشكال الابتزاز السياسي لدول الخليج لجهة أنها مهددة من قبل إيران وأنه لولا العراق لابتلعت هذه الدول واحدة بعد الأخرى. كلا كانت الفكرة صحيحة إلى حد بعيد وكان صدام يعيها جيدا وهو يتحدث إلى السفيرة الأميركية حين التقاها يوم ٢٥ تموز ١٩٩٠ قائلا: " خرج العراق من الحرب وهو مدين للآخرين بحدود ٤٠ مليار دولار عدا المساعدات التي قدمت للعراق، والتي لا تزال مسجلة عليه كديون من قبل بعض الدول العربية

مع أنهم يعرفون وأنتم تعرفون بأنه لولا العراق لما بقيت هذه المبالغ عند أصحابها ولأصبح مستقبل المنطقة على غير ما هو عليه" [٧].

ويرى نزار الخزرجي [٨] أن خروج العراق منتصراً من حربه مع إيران شكل نقطة تحول خطيرة في شخصية صدام حسين المسكون بهاجس صورته في التاريخ.

ويضيف الخزرجي: أن صداماً شعر بالخيبة من مواقف الدول القريبة والبعيدة معتبراً ان العراق الذي منع إيران من تصدير ثورتها وارغمها على الانكفاء الى الداخل لم يعامل بعد الحرب بما يستحقه. واضاف ان الخيبة تحولت مرارة وغضباً بعدما اعتبر صدام ان جهات دولية شجعت الكويت على المساهمة في خفض اسعار النفط[٩].

ويؤكد الخزرجي ان صدام حسين تولى شخصياً وضع خطة اجتياح الكويت في حضور صهره حسين كامل وابن عمه علي حسن المجيد[١٠].

وكان ذلك خطوة مفاجأة للعالم كله ونزلت نزول الصاعقة على عقول ونفوس العرب على مختلف مستوياتهم السياسية والفكرية والاجتماعية، حينما قامت القوات العراقية في٢ آب ١٩٩٠م باجتياح الكويت بعملية عسكرية خاطفة بواسطة ما يقارب مئة وسبعين ألف جندي مدعومين بأحدث الآلات والمعدات العسكرية التي يمكن لدولة شرق أوسطية أن تملكها. وما كان أحد يتصور أن العراق سوف يقدم على خوض حرب جديدة وهو خارج لتوه من حرب مروعة مدمرة استمرت ثمان سنوات مع إيران وكانت نتيجتها بعد الخسائر الفادحة بالأرواح والعمران أن يعود كل إلى حدوده قبل الحرب[١١].

فالقيادة العراقية لم تستشر شعبها قبل خطوتها بالاجتياح ولم تهيئه مقدماً لاستقبال هذه الخطوة، وقد أكد الكثير من الكويتيين الذين خرجوا من الكويت في بداية الازمة أن الجنود العراقيين كانوا مذهولين ومندهشين من اقدام حكومتهم على احتلال الكويت[١٢].

ويضيف الكاتب السعودي سعد العفنان " أن كثير من الأخوة الكويتيين الذين خرجوا من الكويت في بداية الازمة ذكروا لنا أن الجنود والضباط العراقيين أكدوا لهم أن احتلال الكويت هو يوم أسود بالنسبة للعراقيين مثلما هو بالنسبة للكويتيين، وانهم، أي الجنود العراقيين أُتي بهم إلى جنوب العراق بدعوى القيام بمناورات تدريبة، ثم زج بهم إلى الكويت بحجة أن ثورة قامت في الكويت وأنهم جاؤوا لضبط الأمن فيها[١٣].

ويذهب الفريق الركن نزار الخزرجي وهو رئيس اركان الجيش الى ابعد من ذلك ويؤكد أنه هو ووزير الدفاع عبد الجبار شنشل لم يكونا على علم باجتياح صدام للكويت ، وانهما علما بذلك بعد عملية الاجتياح عن طريق سكرتير عام القيادة العامة الفريق علاء الجنابي[١٤].

الثابت والأكيد أن الشعب العراقي فوجئ باجتياح القوات العراقية للكويت مثلما فوجئت به كل الشعوب العربية وشعوب العالم الاخرى سواء بسواء.

احتُلّت القوات العراقية دولة الكويت في اقل من يوم، معلناً إعادة الكويت الى وضعها الشرعي كجزء من العراق، وأن العمل الذي قام به هو دفاع عن المصالح القومية للعراق؛ لكن الحقيقة كانت ترتبط ببقاء نظامه هو. فقد كان الوضع المتردي للاقتصاد في صلب مسألة غزو الكويت.

وسارعت الولايات المتحدة الامريكية بإدانة الاعتداء العراقي، وأدركت جيداً ان رابع أكبر جيش في العالم، أصبح على مشارف لسيطرة على اكبر الاحتياطات النفطية في العالم والموجودة في السعودية(١٥).

وفي ٥ آب ١٩٩٠م اعلن صدام قيام جمهورية الكويت برئاسة علاء حسين علي " مقدم في مخابرات الكويت " ووصف حكومة الكويت هذه (انهم فتية آمنوا بربهم) واستهان الرأي العالمي بهذا التصرف الصبياني .. فيما واصلت قوات امريكية ودولية تجحفلها في السعودية(١٦).

أصدر مجلس الامن الدولي قراره رقم ٦٦١ بتاريخ ٦ آب ١٩٩٠م بإدانة العراق وفرض عقوبات اقتصادية عليه. وفي الوقت نفسه طلب فهد عاهل المملكة العربية السعودية المساعدة من الولايات المتحدة الامريكية للدفاع عن بلاده (١٧).

وفي ٨آب أعلن مجلس قيادة الثورة رسمياً احتلال الكويت، ثم أعلن في ٢٨آب ضمها رسمياً لتصبح المحافظة العراقية التاسعة عشرة. وقد جعلت هذه الاستراتيجية التي أصبح صدام يتبعها من الصعب حتى على أقرب أصدقائه أن يستمر في دعمه(١٨).

إن ما اقدم عليه صدام كان مجازفة خطيرة جداً جعلت العراق عرضة للتدمير ومزقت عرى التضامن العربي وعادت بالعرب عشرات السنين الى الوراء خاصة العراق(١٩).

لقد حشد العراق أكثر من نصف مليون عسكري في الكويت وبلغت الحشوات المشتركة من الدول المناوئة ما يوازي ما حشده العراق في الكويت من افراد، وما يفوق ما للعراق من معدات عسكرية بأضعاف كماً ونوعاً خاصة في الطيران والاساطيل البحرية ووسائل المراقبة والاستطلاع البري والبحري والجوي والفضائي، الامر الذي جعل المواجهة أكيدة وماحقة(٢٠).

كان الصدام العسكري خياراً قائماً طوال الوقت الذي احتل به صدام الكويت، حماية للكنز المتمثل بالنفط العربي؛ ففي فجر يوم ١٧كانون الثاني ١٩٩١م بدأت أكبر قوت نيران تجمعت بعد الحرب العالمية الثانية بدك اهداف عسكرية ومدنية معلنة بدأ عمليات عاصفة الصحراء (٢١).

التفوق الكاسح في قوت النيران التحالف شل القدرات العسكرية العراقية قبل بدأ ضربها فأصبح مسرح العمليات العسكرية في العراق مكشوف امام قوات عاصفة الصحراء؛ فلديها وسائل الاستطلاع المختلفة، ومصادر المعلومات الوفيرة سمح لها بأن ترى كل حركة وكل موقع، وكانت طائرات " الأواكس " تراقب دقيقة بدقيقة كل ما يجري في أي بقعة من العراق(٢٢).

فقد انطلقت الطائرات من اكثر من خمس عشرة قاعدة ارضية وبحرية، وأطلقت صواريخ كروز من السفن الامريكية في الخليج العربي واستهدفت الضربة الاولى اكثر من مئة قاعدة عسكرية في العراق والكويت والكثير من قواعد ومنصات اطلاق الصواريخ العراقية بما فيها وزارة الدفاع، وكذلك استهدفت الغارات الاولى القصر الجمهوري في بغداد(٢٣).

لقد تضمنت العملية أعنف قصف جوي في التاريخ وبعكس الحرب العراقية الإيرانية كانت لدى قوات التحالف التقنية الكفيلة بالتغلب على شبكة الدفاع التي كان يملكها صدام ، وكذلك القدرة على ضرب البنية الاساسية للنظام في أي لحظة واستمر الهجوم الجوي ستة أسابيع، واستهدف تدمير مؤسسات صدام للسيطرة الداخلية والعسكرية (٢٤).

لم يكن النظام العراقي مستعد لهذا كله ، وقع في العديد من الحسابات الخاطئة ، ولم يعد تحرير الكويت الهدف الاوحد للحرب، فتدمير العراق وضرب قدرته العسكرية لم يكن محدوداً بما هو لازم لإخراجه من الكويت، ولو كان الهدف الاول هو تدمير الجيش العراقي، كما لحق تدمير اقسى بالحياة المدنية دون ان تكون هناك ضرورات عسكرية ، بعد ان جرى توسيع الضربات الجوية للعراق وبدأ التدمير يلحق اضرار بالشعب العراقي الذي أتهمته القيادة العسكرية الامريكية بأنه ليس بريئاً؛ فالكثيرون من أفراده تحمسوا لغزو الكويت ، وقابل بحكم صدام(٢٥).

ما حصل من هزيمة للنظام أمام الحلفاء، هزَ بنية النظام، ولم تعد هذه البنية متماسكة، فتململت الروح العسكرية لدى الجيش العائد من ساحة الهزيمة، ومقتل مئات الآلاف منهم بفعل النيران المتحالفة.. ودمار العراق، وانقطاع التيار الكهربائي، وأجهزة الاعلام المرئية، والمسموعة، ووصوله الى درجة الصفر من الناحية الاعلامية، وتعطلت الاتصالات الهاتفية، والتهام الحرائق للدوائر والمؤسسات المختلفة ساهم في فقدان النظام سيطرته على البلاد. ولكن لا يعني ان صداماً فقد كل أسلحته، اذ لا يزال يمتلك جزءاً من هذه الاسلحة (٢٦).

خلاصة القول مارس صدام حسين الدكتاتورية مع بداية حكمة اعتقل وقتل وشرد العديد من ابناء الشعب العراقي وحصر القيادة في عائلته وارتكب العديد من الاخطاء الكارثية التي اوصلت العراق لحافة الافلاس بعد حربه مع ايران ليرتكب خطأ أفدح من سابقه باحتلاله للكويت فيضع العراق على حافة الهاوية كل ذلك كانت اسباب موضوعية لانتفاضة الشعب العراقي عليه في عام ١٩٩١م.

اندلاع نار الانتفاضة

استمرت عاصفة الصحراء بمرحلتها الأولى بسلسلة طويلة من القصف الاستراتيجي الميداني الذي دام ٣٩ يوماً، بلياليها، وشمل ساحة الحرب برمّتها " العراق والكويت " إذ ألقت الطائرات أكثر من مئة ألف طن من القنابل، وأكثر من ٤٠٠ صاروخ جوال بعيد المدى فوق العراق[٢٧].

في ذلك الوقت أبدى صدام إصراراً على تحدي الضربات الجوية المدمرة لإجبار قواته على الخروج من الكويت، كما وعمل جاهداً على نيل الشرعية وكسب تأييد سكان العراق الشيعة قبل الحرب وخلالها وبعدها. مستخدماً الرموز العشائرية والشيعية العربية. ونشر ملصقات يظهر فيها بزي شيخ عشائري في مواضع مركزية في عموم العراق. وأطلق تسميات دينية على بعض صواريخ العراق من طراز سكوت التي أطلقها على إسرائيل والسعودية[٢٨].

وفي ٢٤ شباط ١٩٩١م، وبعد ان تجاهل الرئيس العراقي موعد الرئيس الامريكي الاخير لبدء انسحاب العراق من الكويت، شنت قوات الحلفاء هجومها الارضي[٢٩]، مجبراً الجيش العراقي على الانسحاب في ٢٦ شباط ؛ بعد ان استشعرت القيادة العراقية بخطر عزل وتطويق القوات الرئيسة في ساحة العمليات الكويتية، فأصدرت أمراً سريعاً وحاسماً وغير متوقعاً بالانسحاب الفوري نحو الاراضي العراقية ضمن قاطع البصرة، والدفاع هناك. وبعد أن أشعل النار في حقول النفط الكويتية وتشكل خط طويل من الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود على طول المعبر الحدودي الرئيس بين العراق والكويت[٣٠].

نفذ الانسحاب بشكل مربك جداً وعلى عجل، فكان أشبه ما يكون بالهزيمة الكبرى. فتركت القطعات المقاتلة أثقالها ومواد تموين قتالها، ولم يكن امامها إلا ساعات، فشكلت أهدافاً كبيرة سهلة المنال للقوة الجوية للتحالف، فأصبح الطريق المركزي الجهراء – العبدلي يدعى بطريق الموت؛ بعد ان قصفته قوات التحالف القطعات العسكرية المنسحبة من الكويت إلى العراق ما أدى إلى تدمير ما يزيد عن ١٥٠٠ عربة عسكرية عراقية [٣١] .

بعدها اتخذ الرئيس الامريكي جورج بوش الاب قراره بوقف العمليات القتالية في العراق يوم ٢٨ شباط ١٩٩١م بعد ان تأكيدات من السعودية بنجاحها جهودها المبذولة منذ شهور في توحيد المعارضة العراقية، ووجود مشروع حكومة جاهز لتولي الحكم في اللحظة المناسبة ، وبعد تقديرات من الخبراء في وزارت الخارجية الامريكية ووكالة المخابرات المركزية مؤداها قيام بقايا الجيش العراقي بانقلاب على السلطة عند عودته لبغداد، و ورود معلومات من سوريا بأن قيادات كثيرة من حزب البعث العراقي وصل بها الضيق الى إزاحة القيادات الحالية للحزب ووضع قيادات مكانها[٣٢].

وعند الساعة الثامنة من يوم ٢٨ /شباط/١٩٩١م أعلن الرئيس الامريكي جورج بوش الاب وقفاً للعمليات الحربية، بعد ٤٣ يوماً بلياليها، تكّبد الجانب العراقي فيها خسائر فادحة في اسلحته ومعداته، وما يزيد عن ٢٠٠ألف إصابة مختلفة، و٦٣ ألف أسير....

ثم أعقب ذلك مفاوضات ميدانية في منطقة سفوان قرب جبل سنام جنوب البصرة مثل العراق فيها الفريق الركن سلطان هاشم، والفريق الركن صلاح عبود قائد الفيلق الثالث. أما عن جانب الحلفاء فكان الجنرال شوارتسكوف ونائبه الأمير السعودي الفرق خالد وبعض الممثلين عن الجيوش الرئيسة المشتركة. تمكن الجانب العراقي من الحصول على موافقة على طيران حر للطائرات المروحية – الهليكوبترات – بحجة ضرورة إعادة التنظيم والسيطرة بسبب تعرض معظم الجسور للتدمير[٣٣].

كانت مفاوضات الخيمة أو كما يسميها نجيب الصالحي في كتابة الزلزال خيمة الخيبة والاستسلام استغرب وفد التحالف من الموافقات الجاهزة والتواقيع المتسارعة من جانب الوفد العراقي حتى قبل قراءة الوثيقة والاطلاع على مضمونها تنفيذاً لتعليمات صدام، الذي أراد التخلص من الضغط العسكري لقوات التحالف بأسرع وقت ممكن[٣٤].

وكان بدء العمليات الارضية إيذاناً بحدوث نقطة انعطاف في حرب الخليج ناقلة مركز الاهتمام من الكويت الى العراق حيث اخذت الفوضى المدنية والتحرك المعادي للحكم في الازدياد [٣٥]. بعد ان ولد تهميش صدام للشيعة وقمعه العنيف لحركاتهم السياسية سخطاً لم يكن من الممكن السيطرة عليه بواسطة الاجهزة الامنية العراقية الواسعة الانتشار. لكن مع كون الجنوب فعلياً منطقة حرب فقد خفت قبضة صدام عليه. ومع انسحاب القوات من الكويت، ظهرت بوادر السخط أولاً بين صفوف الجيش الذي كان متباهياً وأصبح محطماً[٣٦].

بدأت الشرارة التي فجرت الانتفاضة في مدينة البصرة ذات الاغلبية الشيعية، وأكبر المدن في جنوب العراق ، في الوقت الذي اصبح مفعول وقف اطلاق النار الرسمي في حرب الخليج نافذاً عند الساعة الخامسة من قبل ظهر ٢٨ شباط ١٩٩١م. فقد اندفع رتل من الدبابات الفارة من الكويت الى ساحة سعد في قلب البصرة فأوقف القائد على رأس رتله آليته في موقع مواجه لجدارية عملاقة لصدام حسين مقامة إلى جانب مبنى قيادة حزب البعث في الساحة، حيث يبدو صدام في زي عسكري. وقد وقف القائد فوق هيكل آليته وخاطب الصورة بخطبة لاذعة تتهم الديكتاتور: " ما حل بنا يا صدام من هزيمة وعار وخزي، وهو نتيجة حماقاتك، وحساباتك الخاطئة وتصرفاتك غير المسؤولة " واحتشد ناس وأصبح الجو مشحوناً جداً. ثم قفز القائد إلى داخل دبابته وأدار برج المدفع ليصوب باتجاه الصورة وأطلق عدة قذائف، فأنفجر الحشد مهتاجاً يهتف مشجعاً ومنشداً " صدام انتهى، كل الجيش مات " لم يتدخل أي من الدبابات أو الجنود الآخرين الذين في الساحة، والذين سرعان ما أنظموا الى

التظاهرات التي بدأت تكبر وتتسع، واندفع الحشد بعنف نحو مركز قيادة حزب البعث، واحرقوا مقر محافظ البصرة، وهاجموا مراكز الشرطة اينما استطاعوا إيجادها. ونهبوا مكاتب الأمن وأتلفوا كل الملفات، وانتشرت الانتفاضة مثل النار في الهشيم[٣٧].

حين كانت الانتفاضة تسري كالنار في الهشيم فإن النفوس التي أججتها كانت تحمل من المعاناة والمرارة اكداساً متراكمة، وهذه الانتفاضة ثمرة سنين من تحمل الاضطهاد والتميز والقهر. وكان الجنود الذين عاشوا التجربة المرة واستنكروا الهزيمة من أكبر عناصر الانتفاضة. برغم أن الهدف كان غير موحد ولم تكن هناك قيادة عليا لهذه التحركات[٣٨].

على أثر اتساع الانتفاضة وانتشار أخبارها بدأت ركائز النظام تسقط الواحد تلو الآخر وأخذ كل واحد منهم يحاول أن ينجو بنفسه والتحقت مجموعة من البعثيين بالانتفاضة خوفاً من ان ينالهم عقاب على ايدي الثوار ولم تكن الانتفاضة في بدايتها بحاجة الى من يحركها من خارج الحدود[٣٩]، فانتشرت نار الانتفاضة الكبرى جنوب ووسط العراق وأخذت تلتهم مراكز السلطة كما تلتهم النار. وخرجت كافة محافظات الجنوب والوسط عن سيطرت الدولة (الكوت ، بابل، كربلاء، النجف، الناصرية، ميسان، المثنى، الديوانية)، عدا بعض المناطق في مدينة البصرة، إذ بقيت أقسام منها تحت سيطرة الجيش، بسب وجود الفرقة الآلية ٥١ التي ظلّت محافظة على قوتها، ووجود المقر المتقدم من للقيادة العامة للقوات المسلحة داخل البصرة. وبدأت المطاحن تدور جنوب العراق[٤٠].

كان للهزائم المتلاحقة التي مني بها العراق نتيجة الحروب التي كان العراقيين يجبرون على خوضها والخسائر والتدمير الذي لحق بالعراق والمنطقة الجنوبية تحديدا وبالأخص هزيمة الجيش العراقي في حرب الخليج الثانية وعدم مبالاة النظام بالخسائر واستمراره بالتبجح بالنصر الدور الرئيس في تعاظم نقمة الشعب على السلطة الحاكمة التي ادخلت الشعب في حرب تلو الأخرى وكذلك تضييقها على المناطق الجنوبية وعدم توفر ابسط الخدمات فيها وكذلك تضرر هذه المناطق جراء الحروب المتلاحقة وتعرضها للتدمير والخراب[٤١].

فكانت الانتفاضة في هذه المرحلة عفوية على العموم؛ ولم تكن هناك أدلة تؤكد ان التحرك المدني في الجنوب كان يجري بتنسيق قيادات محلية واحدة أو حتى بتحفيز من المعارضة الشيعية العراقية الضعيفة والمنقسمة خارج العراق. وفي ٧ اذار وبعد أيام قليلة من ورود تقارير عن تجذر الانتفاضة في مدينتي النجف وكربلاء المقدستين، حيث نزل المتظاهرون الى الشوارع، اعترفت الحكومة العراقية لأول مرة بأنها تواجه ثورة داخلية. وفي الايام التالية اصبحت النجف وكربلاء والمدن الشيعية الاخرى في الجنوب ساحات قتال. واعدام الثوار عشرات المسؤولين البعثيين والمشتبه بهم من المتعاونين، دون محاكمة في احيان كثيرة. وحينذاك ألقت إيران والادارة الامريكية وبعض حلفاء العرب فضلاً عن فصائل المعارضة

العراقية في الخارج ثقلها مع سعي كل منهم الى استغلال الفوضى المتعاظمة في العراق لتحقيق أهدافه الخاصة[٤٢].

واعتبر الفريق الركن رعد مجيد الحمداني[٤٣] الانتفاضة طعنة في ظهر جيش لاذ بوطنه، وهو يلعق جراحه من حرب خسرها لتوّه، وخسر فيها الكثير من طاقاتها البشرية والمادية والمعنوية نتيجة لسياسة كارثية حمقاء لقيادته السياسية [٤٤]؛ متناسياً ان الانتفاضة في العراق لم تكن مفاجئة سياسية فالنظام الذي يحاكم على المنشور بالإعدام، ويذيق من يعترض على القرارات الجائرة حتف المنون، لا بُدَّ ان يتوقع النقمة سواء في شكل انتفاضة أو ثورة عارمة تطيح بعرشه. فالانتفاضة ضده لأمر طبيعي للغاية. فحالة الرفض لدى أبناء الشعب العراقي تتخمر منذ أكثر من عشرين عام في ظل من الدكتاتورية المقيتة التي حكمت العراق ومن حق الشعب العراقي في هذه الفترة ان يرفض الدكتاتورية، من اجل استعادة حريته وكرامته[٤٥].

وعندما تكون الثورة شاملة، فإن الدوافع ستتعدد بطبيعة الحال، ولكن يبقى هناك دافع مشترك بين جميع ابناء الشعب العراقي، وهو أن صدام حسين لا يمكنه الاستمرار في رأس السلطة باعتباره سفاحاً وطاغية من جهة، وباعتباره مسؤولاً عن كل الهزائم التي لحقت مغامراته حرباً بالعراق[٤٦].

اعتبر صدام مغامرته في الكويت نصراً، ولم يكن مهتماً بما إذا كانت قواته في الكويت قد بقيت على قيد الحياة ام لا. والتي تتجاوز المئتين الف جندي فهي غير ذات قيمة كبيرة بالنسبة له، فقد تم الاحتفاظ بفرق الحرس الجمهوري المفيدة له كاحتياط، تمت الاستعانة بها في قمع الانتفاضة التي اندلعت بعد إخراج صدام من الكويت[٤٧].

وعندما سئل صدام قائد الاستخبارات العسكرية اللواء وفيق السامرائي عن تقيمه لأشهر الحرب الفائتة، رد : " أعتقد أن تلك هي اكبر هزيمة في التاريخ " وكان رد صدام ببساطة : " هذا رأيك " في اشارة من صدام إلى وضعه الداخلي وليس إلى انحطاط مركزه الإقليمي، وقد تمكن صدام من النجاة من خلال افتداء نفسه بالدم العراقي[٤٨].

وادرك صدام ان التهديد الاخطر على النظام يكمن في انتفاضة الجنوب، فقد كان الاكراد كعادتهم معنيين بتحقيق الحكم الذاتي أكثر من رغبتهم في فرض سيطرتهم على العراق كله. أما التهديد الشيعي فكان يمثل خطراً أكبر نظراً لأنه كان يرمي بصورة مباشرة إلى الإطاحة بالنظام. ومع عودة القوات الموالية لصدام إلى الجنوب، تم استهداف المنتفضين بأساليب فاقت في قسوتها أي أساليب أخرى استخدمها صدام ضد العراقيين حتى ذلك الوقت، وشرعت قوات الحرس الجمهوري، التي بقيت سليمة نسبياً بعد القصف الذي قامت به قوات التحالف، في قمع الانتفاضة بوحشية متناهية [٤٩].

كانت الاوامر التي اعطيت للجيش العراقي تتضمن:

١- فتح النار فوراً على اي تجمع او تظاهرة معادية.

٢- تدمير اي دار تطلق منها رصاصة واحدة وتعالج بنيران الدبابات والقذائف ومن ثم تهدم بواسطة الشفل.

٣- تدمير القرى التي ينطلق منها نشاط معارض مسلح.

٤- تنفيذ الأوامر من قبل الجميع مباشرة، دون الرجوع الى المراجع ولحد مستوى الجنود[٥٠].

فيما اصدر الامام الخوئي المرجع الديني الاعلى للشيعة بيان تضمن تعيين ثمانية علماء لتفادي انزلاق الامور في النجف وكربلاء بقيادته وعضوية آية الله العظمى السيد عبد الاعلى السبزواري و آيه الله العظمى السيد الشهيد محمد صادق الصدر وآية الله العظمى الشهيد الغروي وآية الله الشيخ شمس الدين الواعظي والشيخ الطريحي والشيخ الساعدي باشراك علماء آخرين....وتعاطف مع الانتفاضة قادة كثر في الجيش العراقي والحكومة العراقية منهم محمد صادق المشاط سفير العراق في اسبانيا الذي قدم استقالته من منصبه آنذاك [٥١].

استمرار المعارك بدون توقف فقد أحرقوا الثوار دبابات للجيش وأسقطوا فيها مروحيات حتى لجأ النظام الصدامي إلى استخدام الأسلحة الكيمياوية المحرمة دولياً لقمع الثوار واستهدافهم من الجو بالرشاشات ومن الأرض بقذائف المدفعية في الوقت الذي كانت ذخيرة الثوار ومؤونتهم توشك على النفاد. لكن الثوار استقتلوا حتى آخر نبض في صد هجومات الجيش حتى تم قمع الانتفاضة بوحشية من قبل سلطة النظام بالطائرات والمدفعية الثقيلة وجميع أنواع الأسلحة التي يمتلكها النظام، ولا يتصوّر مقدار الرعب الذي دبّ في قلوب النساء والأطفال من هذا القصف العشوائي على البيوت والأحياء السكنية والذي خلف مئات القتلى[٥٢].

ودخل الجيش المدن الثائرة لتبدأ التصفية الجماعية للأهالي من قبل قيادة الوحدات العسكرية، فكانوا يصفون الرجال صفوفاً ويطلقون عليهم الرصاص بدم بارد ثم يحفرون بالجرافات حفراً كبيرة ليتم ملؤها بالقتلى بل وأعدموا حتى النساء والأطفال، وسِيق كثيرون إلى المعتقلات وتم تصفية كثير منهم هناك، وكان من بقي يتمنى أنه التحق بمن قُتل من جرّاء التعذيب الذي تعرّض له، المعتقلات كانت عبارة سجون صفيحة كبيرة يقبع في كل واحد منها مئات السجناء، وجرت معاقبة هذه المدن الثائرة فتم تدمير البساتين والأبنية والمساجد والحسينيات والبيوت وقد تعرض مرقدا الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) إلى القصف وظهرت آثار القذائف على القبتين[٥٣].

خلاصة القول كان مستوى الدمار الذي لحق بالعراق في أثناء وبعد حرب تحرير الكويت لا يمكن وصفه انهيار في البنى التحتية وتحطيم للمؤسسة العسكرية وسقوط ضحايا بمئات الاف من الجيش والشعب العراقي على ايدي قوات التحالف الدولي وتدمير للبنية الاقتصادية والاجتماعية في العراق ،اعقبه انسحاب مذل للجيش العراقي من ارض الكويت، لذا لم يكن غريبا أن يندفع آلاف الشبان إلى الانتقام من السلطة في مدن الجنوب والفرات الأوسط ليحتلوا المباني الرسمية والمعسكرات ومقرات حزب البعث وليشكلوا مجاميع مسلحة قوامها أولئك الجنود الناجون من الكارثة وبعض الضباط من ذوي الروح الثورية، كان الهدف ضرب النظام الدكتاتوري. وضرب مؤسساته. لكن هذا الضربَ بدأ مبهماً وفوضوياً من دون منهج موقوت ومفتوح ، فلا يمكن لانتفاضةٍ هذه ملامحها أن تفرض نفسها على مسرح العملية التغييرية المتوقعة والمحتومة آنذاك. والتي اصطدمت بطاغية متجبر استخدمت قواته مختلف الاسلحة وعمليات البطش والتنكيل بشعبه من اجل بقائه على كرسي السلطة.

الموقف الإيراني

إيران دولة خليجية إسلامية لها روابط وثيقة ومصالح حقيقية في المنطقة كدولة إسلامية مجاورة وطموحات وتطلعات غير ذلك، وهي لهذه الاسباب عارضت أية عملية توسعية يقوم بها العراق خارج أراضيه(٥٤).

وارتبطت وإيران، بصورة خاصة، ارتباطاً قوياً بحركات المعارضة العراقية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. وحظيت بالمجموعات الاسلامية القوية، وعلى راسها المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق وحزب الدعوة (٥٥).

تأثرت الأحزاب المعارضة لنظام صدام وخصوصاً بعد ان جعلت الاجهزة الأمنية في العراق من المستحيل أن يبقى النشطاء بمأمن داخل العراق، ناهيك عن قيامهم بنشاطات داخلية مهمة ضد النظام. واستخدم كل جار قوى المعارضة العراقية لخدمة أجندته الخاصة. (٥٦).

وعندما تمسَك صدام بقراره الفردي بالاحتفاظ بالكويت لم يأخذ في الحسبان احتمال تفجر الوضع الامني داخل العراق مغروراً بقبضته الدموية التي تمسك بزمام الامور(٥٧). فبعد اجتياح القوات العراقية للكويت وجّه صدام رسالة إلى الرئيس الإيراني رفسنجاني وهي مبادرة " مبادرة الضرورة التكتيكية " للسلام وتوحيد الصف تجاه العدو الامريكي الصهيوني، وترافقت تلك الرسالة مع إطلاق غير مشروط للأسرى الإيرانيين كي يتسنّى للعراق سحب جميع قواته إلى ساحات العمليات الجنوبية. انهت هذه المبادرة من طرف واحد كل المتعلقات السياسية ومسببات الخلاف ما بين البلدين الجارين بجرة قلم من طرف واحد. وظّل العراق ينتظر ردود الفعل الإيرانية دون نتيجة تستحق الاهتمام(٥٨).

وهنا بدأ الدهاء السياسي الإيراني في الاستغلال الأمثل لمشاكل العراق مع الولايات المتحدة والعالم الغربي لصالحه، فلقد كانت هذه بداية الفرصة الذهبية لإيران لتصفية حساباتها مع العراق من خلال الاخرين [٥٩].

حيث شرعت إيران في شن حملة منهجية لتقويض موقع صدام حسين بعد ان اعرب الرئيس الإيراني هاشمي رفسنجاني عن ادانته للزعيم العراقي في ٨ اذار ١٩٩١م ودعاه الى الاستقالة. وفيما كانت اجهزة الاعلام الإيرانية تشن حرب دعائية ضد صدام وحكمه[٦٠]،حاول نظام صدام اتهام إيران بدعم الانتفاضة. والتهويل من التدخل الإيراني في جنوب العراق. ودعم المنتفضين بالمال والسلاح والإعلام والرجال[٦١].

فنظام صدام دأب على اتهام إيران بتدخلها بشؤونه الداخلية في كل موقف طارئ يمر به وليست الاحداث التي سبقت الحرب عام ١٩٨٠م هي الاخيرة في هذا المسلسل الذي يخفي وراءه دوافع سياسية وهو بذلك يريد ان يعطي أشارات الى الغرب والدول العربية بأنه جاهز للتصدي لإيران وطروحاتها التي برزت بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، وما سمي بتصدير الثورة في حينه، وفي الوقت نفسه لكي يروج اتهاماً ضمنياً ضد الاغلبية العربية في العراق بالتعاون او التعاطف معها مما يتيح له فرصة عزل تلك الاغلبية سياسياً وابعاد ابنائها عن مواقع السيطرة والحكم في الدولة مع ما يترتب على ذلك من ضمانه للفردية والتسلط[٦٢].

لذلك لم يكن غريباً عندما يتهم نظام صدام إيران بتدخلها في شؤون العراق وارسالها الرجال لتفجير الانتفاضة في ٢ أذار ١٩٩١م فهو يبغي تحقيق الاتي:

١- اقناع الرأي العام بأن الشعب العراقي لم يتحرك ضده، بل يؤيده ويسانده!

٢- العودة لترديد نغمة الخطر الإيراني المزعوم الذي يثير حفيظة الغرب.

٣- كسب تأييد أو حياد الدول العربية التي تخشى الخطر الإيراني في تلك المرحلة.

٤- حشد ما تيسر من قوات ضد الانتفاضة بذريعة كونها عملاً خارجياً عدوانياً جديداً تقوده إيران ضد العراق[٦٣].

إن هناك من تحدثوا عن تخطيط مسبق وتدخل أجنبي مباشر في الانتفاضة، إذ أكد الفريق الركن وفيق السامرائي، الذي كان رئيساً لدائرة الاستخبارات العسكرية العراقية حتى العام ١٩٩٤ أن الانتفاضة الشعبية كانت في الواقع انتفاضة مدبرة ومسبقة التخطيط، وانه جرى تنظيمها والإعداد لها قبل فترة من اندلاعها[٦٤].

ومن بين الأمور التي يوردها وفيق السامرائي دعماً لرأيه يقول : كنا نراقب بدقة أكبر حركة القوات التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، المسماة (فيلق بدر) وهي قوة مؤلفة من المبعدين من العراق، لعدم امتلاكهم شهادة الجنسية العثمانية ومن المشردين من العراق والمتطوعين من الاسرى في إيران. وطبقاً للمعلومات الواردة إلينا انتشرت تلك

القوات في قاطع قصر شيرين وديزفول والاحواز، فقد حشدت إيران حوالي خمس عشرة فرقة من الجيش والحرس الثوري في وسط وجنوب الجبهة المواجهة للعراق، وأجرت مناورات واسعة تحت الاسم الرمزي (مناورات الاحرار).وأصبح واضحاً لدينا ان قوات المجلس الاعلى ستبدأ مرحلة من العمل الواسع لزعزعة الأمن العام. والإطاحة بالسلطة، وأخذنا حشد القوات الإيرانية والمناورات التعبوية، وتكديس أعتدة المعركة، بصورة جدية تماماً. وتوقعنا أن تقوم إيران في مرحلة معينة بالاندفاع لاحتلال حقول النفط شمال البصرة وشمال شرق ميسان وجنوب خانقين. وأعددنا تقريراً مفصلاً بالمعلومات والاحتمالات إلى رئاسة الجمهورية. وأمر صدام بدراسة المعلومات والموقف بيني وبين محمد سعيد الصحاف وزير الدولة للشؤون الخارجية[٦٥].

ويورد وفيق السامرائي انه بالرغم من أن حالة الكره الشعبي للنظام وانهيار قوة السلطة ومرارة الهزيمة الكبرى تعد دوافع اساسية للانتفاضة العفوية، إلا أن تحشَد قوات المجلس الاعلى في الاحواز وديزفول وقصر شيرين، وظهور شبكات لاسلكية داخل العراق، يؤكد وجود تخطيط مسبق إلى حد ما ودعماً أجنبيا عملياتياً كبيراً[٦٦].

ويذهب اسحاق فياض الى ما ذهب اليه وفيق السامرائي حين يؤكد انه في الوقت نفسه الذي قامت إيران بدورها في ممارسة الدعاية زودت بعض فصائل الثوار العراقيين بالسلاح، وخاصة لواء بدر الخاضع لتنظيم المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق برئاسة محمد باقر الحكيم. وكان اللواء مؤلفاً من شيعة عراقيين جندوا من بين اللاجئين الذين هجرهم البعث الى إيران في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانيات، ويبدو ان عدة الاف منهم، دخلوا العراق أيام قليلة بعد اندلاع الانتفاضة. وعبَرت إيران بتدريب هؤلاء اللاجئين وتسليحهم عن استمرارية مطامحها التقليدية في ممارسة نفوذ على العراق بالتأثير في الشؤون الشيعية داخل البلاد. ولكن يبدو ان محاولة إيران تحديد الاتجاه الايدلوجية للانتفاضة لم تثمر عن شيء[٦٧].

وانضمت الوحدات العسكرية التابعة للمجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق الى الانتفاضة تحت رايات تنادي علناً بأن يخضع العراق للحكم الشيعي. وكان استخدام أي شعار ديني في دولة علمانية تكتيكاً يُشك في حكمته، لكن الشعارات التي رفعها المجلس الاعلى كانت توحي كذلك بوجود ميول توسعية إيرانية وشعور مناهض للقومية العراقية[٦٨]،

ويورد احد قيادي الجبهة الكردستانية انه كان هناك تنسيق بين الحركة الكردية في الشمال والمعارضة الشيعية في الجنوب، وتوافق على العديد من المبادئ بينها التنسيق السياسي والعسكري. ووعد الشيعة في الجنوب بعدم إعلان رغبتهم في انشاء جمهورية اسلامية في العراق لأن هذا ينعكس على الفور عدائية على المستوى الاقليمي والعالمي ضد الانتفاضة[٦٩].

ويضيف القيادي الكردي " ان الانتفاضة جرت بالتناسق بين الحركة الكردية والمجلس الاسلامي الأعلى عدد من الأشهر وخلال العديد من اللقاءات التي جرى الاعداد لها مسبقاً. وكانت هذه اللقاءات تجري بشكل مستمر عبر لجنة تنسيق كان مركزها في بختران. وثمة لقاءات أخرى كانت تعقد في طهران، وكان هناك لجان فرعية عسكرية وسياسية ولجنة للعلاقات العامة. والإيرانيون شهود على كل هذا، يسجلون الجلسات على اشرطة كما يسجلون الملاحظات اثناء اللقاءات، وكانت اللجنة العليا للثورة الاسلامية في العراق تمتلك قوة ضخمة اسمها لواء بدر قوامها ما يقارب العشرة آلاف رجل[٧٠].

ويتفق مؤرخون اخرون مع وفيق السامرائي في أن إيران قدمت دعماً للانتفاضة في جنوب العراق ومنهم الفريق الركن رعد مجيد الحمداني الذي يؤكد ان الانتفاضة كانت مدعومة بشكل مباشر من قبل العدو القديم إيران، لأنها الفرصة المناسبة للثأر من الجيش العراقي ونظامه السياسي[٧١].

وزعم مسؤولون كويتيون وآخرون من مسؤولي الحلفاء بأن الثوار العراقيين يتلقون مساعدات انسانية وعسكرية فضلاً عن الدعم المعنوي من إيران. وادعى هؤلاء المسؤولون ان الحملة الإيرانية تهدف الى احلال حكومة اسلامية شيعية صديقة محل صدام [٧٢].

ويدعم ما توجه اليه المؤرخون الانتشار المفاجئ لصور آية الله الخميني وآية الله الحكيم. ومحاولة قوات المجلس الاعلى فرض سيطرتها على قيادة الانتفاضة، أدى الى زيادة الهواجس في أذهان المنتفضين، فقد كانت البيانات التي يصدرها المجلس الاعلى في ذلك الوقت أشبه بتلك الصادرة عن النظام القمعي الذي قامت الانتفاضة لمناهضته بدلاً من الاصوات المناديه بالتحرر من الاستبداد؛ فعلى سبيل المثال أصدر القادة التابعون لآية الله الحكيم أوامر تقضي بأن " يتبع جميع افراد القوات المسلحة العراقية المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق ، وأن يطيعوا أوامره " و " ألا تنشر اي أفكار سوى الأفكار الاسلامية الصحيحة[٧٣].

لم تلق تلك البيانات استحساناً، وخصوصاً ان الانتفاضة لم تكن ذات طبيعة متجانسة، إذ تضمنت شخصيات عسكرية، ومسؤولين سابقين في الحكومة، وشخصيات شيوعية، وشخصيات غير منتمية لأي جهات سياسية أو تنظيمية معينة"[٧٤].

وأدت محاولة المجلس الاعلى فرض توجه ديني ضيق الى مزيد من الانقسام بين القوى المناهضة لنظام صدام في الجنوب. وقد كان من الممكن أن يؤدي وجود حركة قومية عراقية في عام ١٩٩١م إلى الإطاحة بنظام صدام، لكن المؤكد أن أجنده ثيوقراطية شيعية ذات طابع إيراني لم تكن لتنجح في ذلك"[٧٥].

أما كنعان مكية فيذهب الى القول إنه " لا يبدو أن الإيرانيين أنفسهم دخلوا البلاد خلال الانتفاضة _ وهذا بخلاف ما ادعى النظام – باستثناء فريق سينمائي من وزارة الاعلام الإيرانية، شوهد في سيارة دورية نوع تويوتا تجول شوارع النجف بينما كانت الانتفاضة في عز زخمها. ولم يكن الغرض من وراء قدوم هؤلاء تسجيل هذه الفترة التاريخية من محنة العراق، بل انهم قدموا ليصوروا المنزل الذي كان يسكن فيه آية الله الخميني في شارع الرسول طوال خمسة عشر سنة قبل سفره لباريس[٧٦].

ويستعرض كلامه بالقول إن " ثوار الجنوب لم تكن لديهم النضج لتأمين المستوى الادنى من القيادة السياسية، فقد حكمت الفوضى الارض، ودخل البلاد خلال اليوم الثاني من الانتفاضة عبر الاهوار المحيطة بالبصرة، ما بين الخمسة الآف والعشرة الآف مسلح كانوا منظمين في مجموعات صغيرة ومتطوعين ممن طردهم نظام البعث خلال اواخر السبعنيات وأوائل الثمانيات. كانوا وحدات من لواء بدر الذي انشأه المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه الراحل السيد محمد باقر الحكيم، وأول ما قام به أولئك الشبان الغاضبون المتدفقون من إيران كان اقتحام فندق شيراتون وإحراق بارات مدينة البصرة وكازينوهاتها. ثم بعدئذ أعلنوا قيام جمهورية اسلامية شيعية في المدينة. وقاموا بإعدام العديد من قيادات الجيش وازلام النظام بعد محكمات كان يشرف عليها رجال دين[٧٧].

على حين يخالف نجيب الصالحي رأي الجميع حين يؤكد أنه : من خلال المشاهدة العيانية المباشرة لم نعثر على إيراني واحد اشترك في الانتفاضة سواء برفع السلاح او التظاهر في الاماكن التي انتشرت فيها الانتفاضة ، وفي حينها صدرت توجيهات من قيادة النظام للبحث عن الإيرانيين ومسكهم لغرض عرضهم في وسائل الاعلام ، وصدرت توجيهات للبحث بين جثث القتلى من الثوار وتفتيشها، عسى أن يتم العثور على وثيقة أو إشارة أو أي شيء يدل على كون القتيل إيرانيا ! وفي حينها صدرت أوامر شديدة بقتل المنتفضين ولكن بعد التأكد من إمكانية وجود إيرانيين معهم، فهؤلاء مطلوب الاحتفاظ بهم لأغراض إعلامية ، ولم يتم العثور على احد وفشلت المحاولات لإثبات ما يدعيه النظام، وعندها اضطر ان يعتبر الشباب الذين يحملون الإشارات الخضراء على الجبهة وعلى الزند وغيرها دليل على انهم قدموا من إيران وأظهر منهم ثلاثة أو اربعة على شاشة التلفزيون، فهزأ الضباط والجنود من هذا الاجراء لانهم أدرى بما جرى [٧٨].

ويضيف الصالحي ان " هناك حقيقة ساطعة لا يمكن اخفائها وهي ان إيران قدمت دعما إعلاميا ومعنوياً للانتفاضة وفتحة حدودها لإيواء اللاجئين العراقيين وأعلنت تأييدها ومساندتها للشعب العراقي للإطاحة بحكومته وكنا نأمل من الاشقاء العرب ان يكون دورهم في دعم الانتفاضة وشعب العراق اكبر واكثر تأثير مما قدمته إيران وبهذا الاسناد الاخوي تتم

مواجهة الخطر الإيراني المزعوم! ولكن العكس هو الذي حصل فقد لاذ الاعلام العربي بالصمت حيال ما يجري داخل العراق من مذابح للشعب على يد حكومته وانفرد الاعلام الإيراني بتغطية ما يجري من وقائع واحداث ! فكيف لا يكسب الإيرانيون ود العراقيين واحترامهم [٧٩].

ويستعرض الصالحي رأيه حين يقول : هل يستوي الذي يسند الشعب العراقي بطاقاته وموارده الاعلامية مع من يلزم الصمت ويهمس هنا وهناك قائلاً وجود " صدام ضعيف أفضل من خطر إيراني قادم " ونسي او تناسى حقيقة لا تقبل الشك ان الاغلبية العربية الشيعية العراقية الذين يتم قتلهم، هم عرب عراقيون أولاً وآخراً وأن الرابطة المذهبية بين شعبي البلدين العراق وإيران لم تلغِ الخصوصية الوطنية والقومية لكل منهما وان " الشيعة العراقيين " قاتلوا إيران ثماني سنوات قدموا خلالها ٨٠% من مجموع تضحيات العراق من الشهداء وضحايا الحرب، ولم يكن للمذهب دور في ايقاف نهر الدم الذي امتد عبر مسافة ١٢٠٠كم من الحدود بين البلدين. ونسي البعض من اشقائنا العرب ايضا، ان صدام " ضعيف حقاً " وقد قصمت الانتفاضة ظهر نظامه، ولكن بقي وسيلة جيدة " يُبتز " عرب الخليج بسببها ! وان السبع سنوات الماضية كانت هي الاكثر تأثيراً في اضعاف العراق مادياً ومعنوياً وان نسبة التخريب الذي حدث خلالها يفوق ما حدث من ضعف وتراجع وتخلف منذ ربع قرن مضى[٨٠]،

غير أن ما هو مؤكد هو مشاركة عدد ضئيل من المنفيين العراقيين.. الذين دربتهم إيران.. في الانتفاضة .وأن محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق. أرسل بضعة مئات من أفراد لواء بدر التابع لمنظمته عبر الحدود لمساعدة الثوار. ويبدو أن العدد أقل بكثير مما أعلن.. وكان مادة الثورة وقيادتها الجماهير الشعبية المستقلة في الداخل العراقي [٨١].

من جانبها فإن إيران أكدت مساندتها للانتفاضة إعلامياً وإنسانياً.. وهو ما أكده الصحفي الإيراني المعارض أمير طاهري من ان طهران أرسلت كميات كبيرة من الأطعمة والمواد الطبية.. في محاولة لكسب السكان الشيعة في جنوب العراق لجانبها.. ويلاحظ أن تكون عدد من عربات الشحن لنقل بعض الأسلحة للقوات المنتفضة داخل العراق [٨٢].

وفي الوقت نفسه اتهم راديو طهران الولايات المتحدة وبلدان اخرى بتطبيق معايير مزدوجة وعدم الاكتراث بمحنة المدنيين العراقيين. وعندما بداء الجيش العراقي يركز على غلق الحدود مع إيران اعترف محمد باقر الحكيم قائد احد فصائل المعارضة الشيعية العراقية بأن الانتفاضة قد تراجعت نافياً التقارير القائلة إن إيران دربت وسلحت زهاء ثلاثين ألف شيعي عراقي من أنصاره، وما استمر من قتال خاضه الشيعة ضد الحكم في العراق خلال الاشهر التالية اتخذ شكل حرب عصابات تنحصر بالدرجة الرئيسة في مناطق الاهوار[٨٣].

خلاصة القول استفادة ايران من غباء وطيش ومغامرات صدام؛ لتحصل على ما لم تحصل عليه في حرب الثماني سنوات، دون مقابل. ووجود إيران الشيعية قريبة جغرافياً من وسط الانتفاضة كان مؤملاً من قبل بعض متصدري قيادتها حصولهم على دعم، يوصلهم الى اسقاط صدام، لكنها لم تكن بمستوى الحدث؛ برغم كل ما قدمته من دعم اعلامي ومادي وادخالها لبعض العناصر التابعين للمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق.

موقف الحلفاء من الانتفاضة

بدأت أيام صدام معدودة بعد طرده من الكويت، حيث دعا الرئيس الامريكي جورج بوش (الاب) في ١٥ شباط ١٩٩١م العراقيين للإطاحة بصدام، وأن يأخذوا زمام الامور بأيديهم[٨٤]. وقبل بدء الحرب رفضت أمريكا وحليفاتها مشروع المعارضة العراقية القاضي برفض الحرب كآخر وسيلة لأنهاء الاحتلال للكويت مقابل الاعتراف بالمعارضة كبديل لنظام بغداد الدكتاتوري، حتى إذا بدأت الحرب ضد العراق وشعبه وبدأ معها الدمار والخراب لكل شيء في بلاد الرافدين، وبدأت المأساة المعمقة والمركزة التي بدأ يعيشها الشعب العراقي، تعالت أصوات أمريكا والحلفاء بقبولهم المبدئي بإسقاط نظام بغداد إذا ما قرر الشعب العراقي ذلك. وقالوا انهم سيكونوا مستعدون لإعادة النظر بعلاقة الولايات المتحدة بالعراق إذا سيطر الجيش العراق على مقاليد الحكم وتخلص من صدام [٨٥].

وخلال الظروف الامنية السيئة التي يعيشها الشعب العراقي والتأثير السلبي لتلك الظروف في ازدياد حالة الرعب والقلق وانتشار عدم الثقة الذي زرعها النظام بين مفاصل المجتمع ظهر دور الاعلام الغربي الذي كان يوحي بأن قوات التحالف ستدخل بغداد وسيتم اسقاط النظام وقد تزامن هذا الطرح مع حقيقة مفادها ان امريكا متهيئة لطرح البديل السياسي وكان هذا الامر متسقاً مع ظهور أسماء شخصيات عراقية معارضة قديمة على مسرح الاحداث مثل سعد صالح جبر، وحسن النقيب، وليث كبة، وابراهيم الداوود، هذه الاحداث كانت متزامنة مع حملة اعلامية واسعة ومركزة ضد صدام شخصياً تهديدات عسكرية متواصلة. هذه الامور بمجملها جعلت الغالبية من العراقيين شبه متأكدين من ان تغيراً حتمياً سيحدث للنظام [٨٦].

في تلك الفترة كان السيناريو الذي استعدت له السياسة الامريكية تقودها وكالة المخابرات المركزية هو عملية انقلاب يقوم بها الحزب والجيش بتعاون بين عناصر من الداخل والخارج، وتتغير قمة السلطة بحمام دم، ثم تتواصل الأمور.

وبدأت محطة إذاعة سرية تشرف عليها وكالة المخابرات المركزية الامريكية تعمل من السعودية، بتوجيه نداءات الى الشعب العراقي بالثورة على نظام الحكم في العراق مع بداية الضرب الجوي فجر يوم ١٧ كانون الثاني ١٩٩١م[٨٧].

وأعاد البيت الابيض لاحقاً تأكيد سياسة إدارة الرئيس الامريكي بوش تجاه العراق، ورغبتها في قيام قيادة عراقية جديدة تحل مكان قيادة صدام حسين تكون متجاوبة مع حاجيات الشعب العراقي ومستعدة للعيش في سلام مع جيرانها[٨٨].

وبدأت دول مهمة وقوية أخرى تدرك ان العراق على وشك ان يشهد تغيرات مهمة. فلمملكة العربية السعودية التي تخلفت عن سباق استقطاب الأحزاب العراقية المعارضة نظراً لعدم رغبتها في دعم الشيعة، في السعي إلى تكوين جماعات موالية لها. لذلك أسس المجلس العراقي الحر بقيادة سعد صالح جبر[٨٩] في شباط ١٩٩١م، وكانت هناك قوة أخرى غير ممثلة وهم المعارضون من البعثيين والعسكريين السابقين، ولأنهم لم يتكيفوا مع أي من المجموعات المعارضة القائمة فد كونوا برعاية وتوجيه بريطانيين وأمريكيين – حزبهم الخاص المعروف باسم " حركة الوفاق الوطني العراقي " بقيادة اياد علاوي، واجتمعت تلك القوى كافة تحت راية " لجنة العمل المشترك " في بيروت في آذار ١٩٩١م[٩٠].

واجتمع اثنان وسبعون حزباً وتنظيماً عراقياً في نيويورك لتشكيل حكومة في المنفى تستلم السلطة بعد سقوط حكومة صدام. واتفقت هذه المعارضة على وضع الية للإطاحة بصدام بمساعدة امريكا. وطلبت امريكا ان يدخل جيش المعارضة للعراق من الأراضي الإيرانية حال دخول قوات التحالف لتحرير الكويت لكن إيران رفضت دخول جيش المعارضة العراقية للعراق من أراضيها. وطلبت ان يدخل هذا الجيش من الأراضي السعودية، لكون جيوش التحالف جحفلت قوتها في الأراضي الخليجية خصوصا في قطر والسعودية، كان ذلك مسوغاً للرفض ، أما السبب الحقيقي فهو احتراز ايران من كمين امريكي على انها احتلت العراق مثل ما احتل العراق الكويت ليكون ذلك ذريعة لمحاربة ايران من قبل جيوش التحالف فيما اعلن السيد محمد باقر الحكيم وقد انتخب وقتذاك رئيسا للمعارضة في المنفى ان تلك مؤامرة للإطاحة بالمعارضة وليست بصدام واعلن انفصاله من الاتفاقية التي ابرمت بحضور امريكا[٩١].

كان خلافات القادة الإسلاميين الموجودين في إيران حول الانتفاضة وقيادتها وحول دور قوات بدر وغير ذلك تحد أدى الى انتقال الخلافات الى الميدان الثوري نفسه في المحافظات الجنوبية العراقية مما أثر سلباً في ستمرارية الانتفاضة ممتداً الى المحافظات الأُخَر[٩٢].

وأخطر ما ظهر في تلك الأيام هو الموقف السعودي، بعد أن قررت المملكة العربية السعودية طلب تواجد قوات متعددة الجنسية لمساعدة المملكة في الدفاع عن اراضيها أمام

احتمال اجتياح مثيل لما تعرضت له الكويت وضعت كل إمكانياتها ومعطياتها للدفاع عن نفسها ومن اجل تحرير الكويت[٩٣]. كانت في الوقت نفسه فزعة من أخبار وردت من طهران عن تشكل حكومة شيعية في الجنوب واحتمال أن يكون محمد باقر الحكيم رئيسها. فقد فوجئ الأمريكان الذين كانوا يتابعون برضا ما يجري في جنوب العراق ، بأن الذعر استولى على قلب الرياض التي راحت تلح وتحذر وتدق نواقيس الخطر معتبرة أن ما تصفه بالخطر الشيعي أصبح العدو رقم واحد وحتى قبل صدام حسين؛ كانت صيحة الخطر السعودية متأتية من أن الشيعة إذا نجحوا في إقامة دولة في جنوب العراق فإنها ستؤثر في الكويت والبحرين ومنها الى المقاطعات الشرقية السعودية وبالذات الى منطقة القطيف وعاصمتها الظهران وهي عاصمة البترول[٩٤].

لم تكن الاستراتيجية الأمريكية تجاه العراق بعد الحرب تتصور أو تريد تقسيم العراق ، فهي أول من يدرك ان التركيبة الإنسانية للعراق تركيبة خطرة، فالأغلبية من الشيعة، ثم تليها الكتلة السنية، وأخيرا تجيء الكتلة الكردية، فإذا حدث وانفك تماسك العراق بتقسيمه، أو بظروف تجعل التقسيم واردا، فالأرجح ان الشيعة سيلتحقون بإيران، وأن الاكراد سوف يقيمون في شمال العراق نواة لدولة كردية (كردستان)، وفي الوقت نفسه فإن السنة في العراق سوف تجد نفسها حائرة بين الالتحاق بسوريا أو الاردن، فهي وحدها لا تستطيع إقامة دولة عراقية. وسوف يؤدي تقسيم العراق الى قلاقل شديدة للغاية في المنطقة الحساسة الواقعة بين جبال الأناضول وجبال أفغانستان، وإلى تفريغ مخيف يصيب منطقة الهلال الخصيب[٩٥].

وهذا كله لا تريده الاستراتيجية الأمريكية التي تطلب تهدئة المنطقة بعد الحرب، وليس إثارتها بتحركات عنصرية وطائفية واسعة تغير موازين القوى إذا لم تكن تقلبها رأسا على عقب. فهدف الرئيس بوش، التخلص من نظام الرئيس صدام حسين، مع تدمير القوة النامية – العسكرية والصناعية – للعراق، وفي الوقت نفسه المحافظة على تركيبة العراق. وكانت تلك معادلة بالغة الصعوبة والتعقيد، ذلك ان تحقيقها – يقتضي استعمال الجراحة، وليس استعمال الضغوط السياسية والاقتصادية والنفسية، فهذا النوع من الضغوط إذا استعمل وأدى استعماله الى نتيجة فإن هذه النتيجة سوف تؤثر أول ما تؤثر في التركيبة البشرية، ومعنى ذلك أن يحدث ما لا يريده بوش وتنفك هذه التركيبة بما فيها الدولة في العراق، وليس النظام وحدة[٩٦].

ولما بدأ العد التنازلي للنظام الحاكم على يد أبناء الشعب الذين انطلقوا بانتفاضتهم ضده، بدأ معه العد العكسي لمواقف أمريكا والحلفاء تجاه هذا النظام الدموي، فبدلاً من أن تتخذ إدارة الرئيس الامريكي جورج بوش موقف الحياد من الانتفاضة اذا بها تأخذ جانب

النظام الحاكم من دون الاكتراث بكل المجازر التي يفعلها هذا النظام ضد الشعب وانتفاضته من جانب ومتنكرة بإزاء مستقبل نظام بغداد والذي أشارت اليه أكثر من مرة إبان الحرب من جانب آخر[٩٧].

وكان الموقف الامريكي مبهماً الى حد ما. ففي حين كان الرئيس بوش دعا الشعب العراقي الى الثورة على رئيسه. أوحت التقارير في أجهزة الاعلام بأن التقييم السائد بين مسؤولي المخابرات الامريكية هو ان الشيعة في الجنوب غير قادرين على القيام بثورة ناجحة ضد سلطة صدام حسين وضد السيطرة السنية التقليدية على العراق، التي تمثلها هذه السلطة. وكان الاعتقاد السائد ان الجيش هو المؤسسة العراقية الأرجح التي تستطيع التحرك لإنقاذ العراق من " التفكك بفعل القوى الطاردة " وتتحدى ادعاء صدام بالحكم بعد مغامراته الكارثية في الكويت. والحق انه خلال الانتفاضة ولفترة طويلة بعدها ظلت ادارت بوش وبعض حلفائها العرب في التحالف، يأملون في وقوع انقلاب قصر حيث " سيضيق جنرال سني ذرعا في النهاية ويخلع صدام" وفيما كان الثوار العراقيون يقاتلون وحدات عسكرية مجهزة بأسلحة نارية متفوقة وبحوامات، حاولت المعارضة في الخارج، التي تضم عدداً من الفصائل الاسلامية والعلمانية، ان تتفق على برنامج عمل وان ترسم اتجاهاً للثورة وتوفر قيادة بديلة عن حكم البعث في العراق[٩٨].

مع قيام انتفاضة دينة شيعية في الجنوب انتاب واشنطن ولندن خوف ربما أكبر من الخوف الذي انتاب بغداد. ذلك أنه لم تكن هناك خطط طارئة يتم تنفيذها في حالة انهيار نظام صدام، وأن سقوط صدام بفعل انتفاضة ذات طابع طائفي لم يكن حتما من النتائج المقبولة . فقد كان الغرب يفضل العودة الى الوضع الذي كان قائم قبل عام ١٩٩١م، وليس التحول الى نظام سياسي جديد. لذلك، لم يدم الانتصار الذي حققه الشيعة طويلاً لعدم وصول الدعم المنتظر من الحلفاء[٩٩].

وبعد أسابيع – أي منذ نهاية حرب الكويت – بدأت الولايات المتحدة القيام بعمل الرعاية المتوازنة لـ " الحرب الاهلية " في العراق، تارة عبر غض النظر عن تسلل مجموعات عراقية إلى البصرة، ثم لاحقاً إلى مناطق أخرى موازية للحدود، وتارة أخرى عبر غض النظر عن هجوم قوات الحرس الجمهوري المضاد على هذه العناصر وغيرها من التي التحقت بها، وطوراً عبر منع بغداد من استخدام الطائرات وأحياناً المروحيات لصد الهجومات، وطوراً آخر عبر السماح باستخدام المروحيات ضد المنتفضين [١٠٠]. بعد أن تركت القوات المتحالفة أربع فرق من الحرس الجمهوري سليمة لم تمس خلال حرب الخليج. وهذه الفرق الأربعة كانت العمود الفقري للقوة التي ارسلها صدام لقمع الانتفاضة في الجنوب[١٠١].

واقدم العراقيون في جنوب العراق على مناشدة جيوش التحالف نفسها التي أمطرت مدنهم بالقنابل لمدة ستة اسابيع لكي تساعدهم في التخلص من النظام الذي يحكمهم. ولم يكن لهذا الامر من نظير على الإطلاق في السياسة العربية من قبل، حيث فتح نافذة واعدة لمجمل المنطقة مع هذا التحول المثير في الأولويات – ولكن لم يكن مقدر لهذا الامر ان يتم. وذلك بسبب ان المنتفضين بقوا وحدهم مرفوضين من قبل اشقائهم العرب ومن قبل الغربين[١٠٢].

ففي يوم من الايام العصيبة التقطت وسائل الاستطلاع اللاسلكي محادثه على شبكة اتصالات الثوار في قاطع الناصرية تتضمن ما يأتي: " ذهبنا الى قوات الحلفاء وطلبنا منهم أي شكل من اشكال المساعدة، فرفضوا ذلك قائلين: أنتم من جماعة السيد " وقال المتحدث على الطرف الآخر : " اذهبوا مرة أخرى واطلبوا المساعدة " فجاءت الإجابة بعد وقت قصير : ذهبنا اليهم مرة أخرى وقالوا لنا: انتم موالون لإيران ولا نساندكم ".لقد ساعدت هذه الرسالة النظام على اعادة الامساك بزمام الأمور بقوة بعد أن أطلقت حركة الهليكوبترات المسلحة لمهاجمة ثوار الانتفاضة في جنوب وشمال العراق[١٠٣].

ويبدو ان الخيار الامريكي قد اتجه نحو الابتعاد عن ترسيخ الحرب الأهلية، عبر السماح لسلطة بغداد بإعادة توحيد العراق. والخيار الذي اعتمدته الادارة الامريكية هو الرهان على المؤسسة العسكرية في بغداد عبر " رشوتها " بوحدة العراق على أمل أن ترد هذه المؤسسة الفاتورة بإقصاء صدام حسين. كنوع من التسوية المنشودة مع المؤسسة الوحيدة في العراق التي يبدو أنها مؤهلة في نظر الامريكان لإجراء التغيير في بغداد[١٠٤].

وينقل الفريق نجيب الصالحي عن الفريق الركن خالد بن سلطان[١٠٥] أنه في أثناء مفاوضات الخيمة ان الاخير قد تولد لديه شعور ان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن تسعى الى الحصول على استسلام عراقي رسمي، وترى ذلك أمراُ غير مناسب وان الادارة الامريكية ترجح ان صدام لن يبقى في الحكم بعد ان تعرض لكل تلك المهانة والعقاب، وان شعبه سيطيح به لا محال. وهي تعمل على التئام جراح الحرب بما يتفق والنظام العالمي الجديد الذي كانت واشنطن تأمل ان يتمخض عنه ذلك الصراع. وترى في الوقت نفسه ان يبقي العراق كقوة يمكنه الدفاع عن نفسه ويكون له ثقل إقليمي موازي لإيران. بعد ان وضعت الحرب أوزارها ولم تعد هناك حماسة لمواصلة القتال والذي يثير الرأي العام العالمي، كما ان خسائر التحالف لا تكاد تذكر [١٠٦].

ويضيف الفريق خالد قائلاً " كنت أعلم ان التقدم الى بغداد لم يكن أمراً وارداً على الاطلاق، ولم يطرح مثل هذا الموضوع للنقاش وان هذا الامر كان مرفوضاً من كل الدول العربية في التحالف "[١٠٧].

التحول المفاجئ في موقف الولايات المتحدة بإزاء انتفاضة الشعب العراقي؛ سببه أن واشنطن ولعدة أسباب.. كانت تفضل انقلاباً عسكرياً لتغيير الحكم في العراق.. بدلاً من القيام بانتفاضة شعبية.. وأنها كانت تحاول التخلص من صدام وليس من نظامه. فقد أعلنت الولايات المتحدة عن وقف إطلاق النار.. قبيل يومين فقط من اندلاع الانتفاضة.. وتم الاتفاق مع صدام في خيمة صفوان.. على الحدود العراقية ـ الكويتية.. منحت بموجبه الولايات المتحدة نظام صدام حق استخدامه طائرات الهليوكوبتر العراقية العسكرية (السمتيات) في الأجواء العراقية.. والتي استخدمها صدام في قصف وتدمير المدن الثائرة [١٠٨].

كان ظهور السمتيات محلقة في الاجواء بعد يوم ٦ آذار حدثاً مهماً ومؤشراً واضحاً حول الموقف الدولي من الانتفاضة وتحديداً من قبل دول التحالف الغربي ودول الخليج العربي بالذات، هكذا كان رأي العسكريين العراقيين من القادة والضباط والجنود. وهذا هو سر التغير الذي ظهر في لهجة بغداد[١٠٩].

المفاوضات التي جرت في صفوان تمخض عنها تأثير سلبي كبير في سير الانتفاضة وقد بدأ ذلك واضحاً على معنويات القوات المسلحة التي كانت تنتظر وضعاً ضاغطاً اكثر على النظام، أما المنتفضون فقد اصيبوا بخيبة امل كبيرة، بل طعنة قوية من الظهر فهم كانوا ينتظرون الاسناد الدولي لثورتهم فجاءت المفاوضات لتؤكد وقف العمليات الحربية ضد النظام وان الحلفاء قد وصلوا حدود لا يريدون تجاوزها لان تجاوزها يلحق الضرر بنظام صدام ويرفع آخر حجر يدعم هيكل حكمه. وان قبول التفاوض معه يعني ضمناً أن صدام حسين باق في الحكم ولول الى حين، ومؤشراً واضحاً على ان الموقف الدولي لم يكن مسانداً للانتفاضة ان لم يكن ضدها وفي ذلك إشارة الى دور الدول العربية المجاورة للعراق[١١٠].

كان السماح للحكومة العراقية باستخدام الطائرات السمتية المسلحة ضمن اجوائها في وقت كانت فيه الانتفاضة الشعبية في دور النهوض تحمل كثير من المؤشرات السياسية التي تفسر لصالح النظام والتي تعني رغبة دول التحالف ومن ضمنها الدول العربية المشاركة فيه، في بقاء صدام حسين على رأس السلطة ولو الى فترة معينة؛ وهذا يفسر لنا عدم تراجع قيادة التحالف الدولي عن مواقفها في السماح للطيران العراقي السمتي المقاتل بالتحليق في اجواء البلاد، برغم مشاهدتهم المباشرة لأعماله القتالية ضد الشعب العراقي المنتفض في الجنوب والشمال وخلاف لما طرح في حينه ان مبررات إدارية وإنسانية للحصول على الموافقة[١١١].

يبدو ان صداماً قد فسر الصمت الذي تلوذ به قوات الحلفاء التي تحتل جنوب العراق إزاء استخدام المروحيات ضد قوى الانتفاضة بأنه " ضوء أخضر" لاستخدام أنواع أُخر من أسلحة الجو كالطائرات المقاتلة، لقمع الانتفاضة. من هنا استخدم صدام طائرات مقاتلة من نوع " ميغ ٢٣ " السوفياتية الصنع في قصف مدينة كربلاء المقدسة أكثر من مرة[١١٢].

ولم يستغرق الامر من وحدات الجيش الموالية لصدام الا اسابيع قليلة لعزل مراكز المقاومة وسحق الانتفاضة الشيعية واسترداد السيطرة عملياً على كل المدن والبلدات في جنوب العراق[١١٣].

وحين كانت وحدات الجيش العراقي تقوم بعمليات تمشيط في الجنوب الشيعي بدأت الولايات المتحدة وإيران وبعض قادة فصائل المعارضة العراقية يخففون من توقعاتهم بأسقاط حكم صدام حسين في وقت قريب[١١٤].

الخيار الذي اعتمدته الادارة الامريكية هو الرهان على المؤسسة العسكرية في بغداد عبر " رشوتها " بوحدة العراق على أمل أن ترد هذه المؤسسة الفاتورة بإقصاء صدام حسين. كنوع من التسوية المنشودة مع المؤسسة الوحيدة في العراق التي يبدو أنها مؤهلة في نظر الامريكان لإجراء التغيير في بغداد[١١٥] .

إنَّ الميزان العسكري الجديد، الذي تحقق على أرض الواقع لم يأت مصادفة، وإنما نتيجة " الموقف الحيادي " الذي اتبعته واشنطن، تحت شعار " عدم التدخل في الشؤون الداخلية ". إضافة الى التصريح الذي استبد فيه الرئيس الامريكي، جورج بوش، في معرض حديثه عن احتمال قيام دور للأمم المتحدة لمساعدة اللاجئين الاكراد، أن تلعب المنظمة الدولية " دور رجل الشرطة في العراق" وقال " لا أعتقد أنكم سترون الأمم المتحدة تلعب دور رجل الشرطة في وسط بغداد ".وكرر ان القوات الامريكية المتمركزة في جنوب العراق سوف تنسحب، في غضون أيام لا اسابيع ولا اشهر "، بعد وضع آلية القرار الاخير لمجلس الامن الدولي موضع التنفيذ. وأوضح بوش أنه أعلن أو ألمح إلى أن بلاده لن تستخدم القوة في شكل يتعدى ما نصت عليه قرارات مجلس الامن الدولي بالنسبة الى العراق.

وأكد في معرض رده على الاتهامات الموجهة إلى أدارته، أن واشنطن لم تضلل المعارضة العراقية، وهذا أمر واضح، ذلك أنني راجعت كل تصريح قلته ولم تكن هناك أي اشارة إلى أن الولايات المتحدة الامريكية، ستستخدم القوة على نحو يتعدى الأهداف الموضوعة، من حيث الاساس"

وقد تعدى هذا التوجه، في اصرار الولايات المتحدة الامريكية، ومعظم الدول الحليفة على التزام جانب " الحياد " أو عدم التدخل في الشؤون الداخلية العراقية، إزاء التحرك الدولي، الذي تقوده فرنسا وتركيا داخل مجلس الامن لوقف مضاعفات التهجير الجماعي، الذي يطول أكراد العراق.

وبدا الرهان على الجيش خاسراً، ولم ينهض اي من الضباط من داخل الجيش ليعانق تلميحات البيت الابيض ،هذا والانتفاضة الشعبية تأخذ مداها في جميع مدن العراق.

وفي الموقع المتقدم داخل العمق العراقي يشاهد الجنود الامريكيون قوات الحرس الجمهوري العراقي وهي تقصف بالدبابات مستشفى عام، ويشاهدون طائرات الهليكوبتر القتالية وهي تمطر البلدة بمئات من القذائف التي تتساقط على مدنيين تكوموا داخل خنادق جنوبي خط السكة الحديد الواقع داخل خط الفصل بين القوات على الجانب العراقي. واكتفت القوات الامريكية بالتفرج على عمليات الذبح التي يمارسها الحرس الجمهوري العراقي[١١٦].

واخيرا وقبل ان نختتم الموقف الاقليمي والدولي لا بد لنا من معرفة موقف القوى العربية المثقفة من الانتفاضة، فقد تجاهل المثقفون ورجال الدين والرأي الرسمي العربي ما كان يجري في العراق خلال آذار ونيسان ١٩٩١م. ولم يقم أي واحد منهم بالدفاع عن العراق الذي استجمع أخيراً الشجاعة لأن يثور ضد نظام قصفه بالنابالم، وبقنابل الغاز وعذبه طوال ٢٣ عاماً. والكثير من المثقفين العرب يعتبرون أن مصير العراقيين سيكون أفضل بكثير ان استطاع صدام البقاء في السلطة. ومثقفون اخرون كانوا يقيمون حلقات نقاش مع مشترعي وراسمي السياسة الامريكية، طالبين منهم بإلحاح عدم التدخل في مسألة القتل الجماعي العديم الشفقة القائم والممارس ضد العراقيين معللين ذلك ظاهرياً بالعواقب الرهيب التي ستحل بالمنطقة من جراء التدخل. ردات فعل من هذا النوع دليل إفلاس أخلاقي[١١٧]. وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على مستوى متدنٍ من الإفلاس القومي والديني والثقافي والانساني للطبقة العربية المثقفة.

خلاصة القول لقد جاء الانحياز الامريكي والعربي الى جانب نظام بغداد في مواجهته لانتفاضة الشعب العراقي، لحضة سكوت القيادة العسكرية الامريكية المستقرة في المنطقة على استخدام نظام بغداد لطائراته المروحية في قصف وتدمير أبناء الانتفاضة في الجنوب والشمال والذي كانت تعده أمريكا مخالفاً لمقررات وقف إطلاق النار بين العراق والحلفاء. إن سكوت امريكا والحلفاء المطلق على المجازر التي أعملها نظام بغداد، يؤكد وبما لا يدع مجالاً للشك،

تورط المجتمع الدولي في دماء الشعب العراقي، وليكشف من جانب آخر عن زيف القانون الدولي بإزاء قضايا العالم المستضعف وشعوبه المقهورة،

نتائج وأسباب فشل الانتفاضة

عندما شارفت الانتفاضة على الانتهاء لم تكن في مستودعات الجيش سوى ٢٧٠ ألف إطلاقة كلاشنكوف. وأرسل سعدي طعمة وزير الدفاع في ذلك الوقت رسالة الى القيادة الاردنية، حملها العقيد الركن أحمد رضا التكريتي، طلب فيها إعادة ما يمكن إعادته من عشرة ملايين اطلاقة كلاشنكوف أهدتها قيادة الجيش الشعبي العراقي الى الاردن ولم يلق الطلب الاستجابة.... ولو استمرت الانتفاضة أسبوعاً اخر لقضي الأمر[١١٨].

وكان ذلك نتيجة تبدل الموقف الأمريكي والدول الغربية والعربية التي تعتريها مخاوف من قيام جمهورية اسلامية في العراق، بدلت موقفها بنسبة ١٨٠ درجة من نظام صدام حسين بمجرد قيام الانتفاضة، تخلوا عن الشعب العراقي حينما انتفض على جلاديه، فإذا بالحرب التي شبهت بأنها مثل الحرب العالمية الثانية انتهت، على حين صدام الذي شَبه بهتلر حياً، يحكم أبناء العراق بالحديد والنار[١١٩].

تجنب الحلفاء لاحتمالات سقوط الطاغية بطريقة تولد فراغاً سياسياً معيناً، وتطاحناً داخلياً أو تغييراً في المعادلات الإقليمية. ولذلك لم يتدخلوا لمنع الهليكوبترات المسلحة من مهاجمة الثوار. كما لم يتدخلوا لإيقاف تدفق وحشد القوات المدرعة لمهاجمة المدنيين[١٢٠].

لم تكن الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها، بما فيهم السعودية والكويت، على استعداد حقيقي لإجراء تغيرات جذرية في التصورات السابقة عن طبيعة الحكم في العراق. وبدأ مسؤولون كبار في الادارة الامريكية يتحدثون عن صدام حسين بوصفه نوعاً من " الصداع الخفيف " عليهم ان يعيشوا معه لفترة طويلة، واجدين الراحة من عن طريق الدبلوماسية تارة وعن طريق القوة تارة اخرى[١٢١].

ومع بقاء صدام في السلطة كانت هناك حاجة إلى اتخاذ تدابير أخرى تضمن ألا يشكل نظامه مرة اخرى خطراً على جيرانه. لذلك، وُضعت لائحة مفصلة من العقوبات التي حققت هدف تقليص قدرة صدام على تهديد الأمن الإقليمي، ولكنها أدت إلى مزيد من التدهور في الاوضاء الاجتماعية والاقتصادية للشعب العراقي[١٢٢].

فكان من شراسة القمع قيام الحرس الجمهوري بقمع الانتفاضة بكل بطش وعنف، مستخدماً المدفعية والدبابات والصواريخ والطائرات والمواد الكيمياوي، ومتبعاً جميع الاساليب القمعية للقضاء على الانتفاضة متخطياً بذلك كل القوانين والاعراف الدولية.

وكذلك قام النظام بالإعدامات الجماعية حتى أنه أعدم في وجبة واحدة ٥٠٠ شخص، اضافة الى حرق المنتفضين أمام عوائلهم بعد صب البنزين عليهم(١٢٣).

في كربلاء المقدسة وحدها قتل ١٢ ألف انسان، وهي مدينة معزولة صغيرة في العراق، اذ لم يقتل في كل المنطقة الشمالية في العراق هذا العدد من الناس طوال الانتفاضة(١٢٤).

استخدمت في قمع الانتفاضة اقسى درجات العنف. وبات نوع جديد من الحرب المذهبية العنيفة والصريحة، التي تستهدف الاشخاص لمجرد كونهم من الشيعة، جزءاً لا يتجزأ من إرث صدام. وبذلك فإن ضعف النظام بعد حرب الخليج، لم يجد أمامه للتشبث بالسلطة في حصن بغداد سوى إضرام الكراهية بين الشيعة والسنة(١٢٥).

طرح النظام صيغا واساليب جديدة للعمل في مكافحة الاثار الناجمة عن الانتفاضة بدأ بتنفيذها على الصعيدين الرسمي والشعبي، حيث بدأ شمول الدوائر الحكومية كافة بدءاً من ديوان رئاسة الجمهورية نزولاً الى المنظمات الامنية والقوات المسلحة والاجهزة الادارية الاخرى والحزب بأبعاد الاشخاص الذين يعملون بها والذين تنحدر اصولهم من المحافظات الجنوبية والوسطى . وبهذا الاجراء أكد من جديد عن عمق نزعته الطائفية السياسية التي اتسمت بالفعل والممارسات العلنية خلاف لمقتضيات التعامل الوطني الصحيح بين الدولة والشعب(١٢٦).

ومن ضمن سياسة العزل الطائفي والاجتماعي التي تبناها النظام هو ضرورة التخلص من سكان العاصمة التي تنحدر اصولهم من المحافظات الجنوبية والفرات الاوسط والذين يشكلون ٧٥% من مجموع سكان المدينة ويقضي هذا القرار بموجبه ترحيل كافة القانطين في بغداد من الذين لم يسجلوا في احصاء عام ١٩٥٧م الى محفظاتهم الاصلية، واستثنى القرار القانطين في بغداد والذين تنحدر اصولهم من تكريت والرمادي والموصل. والهدف من هذا تغير البنية الديمقراطية لسكان العاصمة(١٢٧).

مما اضطر الكثير من العوائل في المحافظات الوسطى والجنوبية الى تغير محل السكن والانتقال من اماكنهم الاصلية الى اماكن جديدة ولكن النظام ظل يلاحق تلك العوائل ويجبرها على العودة الى اماكنها الاصلية(١٢٨).

كما بدأ الآلاف من المدنيين والجنود الهاربين والثوار بالهرب من السلطة إلى الأهوار الواقعة في جنوب العراق.. وحينها قامت قوات الحرس الجمهوري والجيش بملاحقة واعتقال وقتل الثوار.. وفي هذا الوقت تم تجفيف أهوار العراق.. من خلال تحويل تدفق نهري دجلة ونهر الفرات بعيدا عن الأهوار.. مع نقل إجباري للسكان المحليين إلى مناطق أخرى [١٢٩].

وبعد استقرار الاوضاع نسبياً شرع النظام بتطبيق خطة امنية للطوارئ اتسمت بالشدة والانتقام والتصفية لبعض الوجوه والشخصيات التي اسهمت بتغذية وتأجيج الانتفاضة واستمراريتها سواء اكان بالفعل السلح او حشد التأييد او الدعم المالي او المعنوي. مما ادى إلى هجرة عشرات الآلاف من السكان عوائل وافراد الى الاقطار المجاورة بحث عن آماكن أمنة تتيح لها العيش[١٣٠].

انتهت لانتفاضة دون تحقيق الهدف المرجو منها لأسباب عديده ابرزها :

١- الانتفاضة الشعبانية كانت عفوية شعبيه بغياب القائد الذي يقود المجموعات على الرغم من وجود قيادات لمجموعات صغيرة في مناطقها.
٢- اضفاء صبغة طائفية على الانتفاضة نتيجة التعصب الديني لسكان المنطقة وبث صور لمراجع دين شيعة وهو ما سهل عملية الانقضاض عليها.
٣- غياب وسائل الاتصال وانعدام الاعلام الحر والمستقل الناقل للأحداث الانتفاضة حيث لم يكد يكون هناك اي نوع من التغطية أو الدعم الاعلامي العربي باستثناء بعض الأخبار في الاعلام الغربي وبعض القنوات الفضائية كقناة البي بي سي التي انتجت لاحقا وثائقيا عن المجازر التي ارتكبها النظام[١٣١].
٤- انكفاء الانتفاضة بالمحافظات والاقضية والنواحي التي حرروها واقاموا فيها قيادات محلية التي اعتمدت حالة الدفاع عن المناطق التي تقع تحت سيطرتها من دون التنسيق مع القيادات الاخرى الموجودة في المحافظات لتشكيل قيادة عليا تعمل على التحرك لأسقاط النظام في بغداد التي كانت حاضنة لمصدر القرار ونفوذ الحكم مما ساعد هذا السبب النظام الصدامي على التحرك بشكل مدروس لضرب الثوار واعادة المحافظات المحررة الى قبضته بدءا من المدن القريبة من بغداد.
٥- عدم قيام المعارضة العراقية في الخارج بتوفير غطاء سياسي للثوار والتعريف بأهداف ثورتهم ومستقبلها الايجابي على دور الجوار والمجتمع الدولي وغيرها من الاسباب حالت دون اسقاط النظام القمعي آنذاك[١٣٢].
٦- عدم وجود حليف استراتيجي مستعد لمواصلة دعم الانتفاضة بمواد القتال والسلاح.

٧- شعور أبناء المنطقة الوسطى بخطر شديد من أنهم سيقعون بجريرة صدام بين حجري الرحى أي بين رتلي الشمال والجنوب، ولذلك لم يعد امامهم سوى ترقب قيام القوات المسلحة بإخماد الانتفاضة وتقبّلهم لفكرة بقاء صدام وقتياً بدل الإبادة التي كانوا يعتقدون أنها ستحلّ بهم.

٨- نجاح صدام في خلق روح طائفية في بعض مناطق الوسط من المحسوبين على الحكم، بالرغم من أن نصيب الوسط كان المزيد من إعدام كبار قادته، بل تحجيم وإعدام كل من يبرز على خط القيادة بشكل يهدد أو ينافس مستقبل صدام[١٣٣].

الخاتمة والنتائج

كانت الاسباب الممهدة للثورة عديده منها طبيعة النظام الديكتاتوري الطائفي العنصري الذي تبنى سياسة القمع والتسلط والتمييز في الحكم والاستئثار بمقدرات الدولة عند اقلية حزبية ومذهبية حاكمة ، ادخلت البلاد بحروب عبثية عديدة كان اولها الحرب مع ايران التي استمرت ثماني سنوات، أدت إلى مقتل مئات الآلاف من الضحايا، وتدمير البنية التحتية للبلد وتلاشي مقدراته الاقتصادية وغيرها. وقيام النظام البعثي الصدامي في٢ آب ١٩٩٠م باحتلال الكويت، الامر الذي أدى إلى حدوث نقمة كبيرة عند المجتمع الدولي ، استرعى تشكيل تحالف دولي تقوده الولايات المتحدة الامريكية من اجل العمل على اخراج صدام من الكويت، بعد فشل المفاوضات والوساطات التي طالبته بالانسحاب سلميا، لكن صدام اصَّر على موقفه المتعنت دون التحسب للحرب وعواقبها الباهظة. لتبدأ في ١٧ كانون الثاني ١٩٩١م اكبر عملية تدمير لمقدرات العراق الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية من خلال عشرات الآلاف من الغارات الجوية المكثفة التي استمرت ما يقارب الاربعين يوما، تسببت بقتل الآلالف من ابناء الشعب العراق، واعادته لعصر ما قبل الصناعة. الامر الذي خلق حالة من الغليان والغضب الشعبي من جراء فداحة الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بالعراق، ليتحول الى انتفاضة شعبية عفوية في ١٤ محافظة عراقية من اصل ١٨ محافظة .وقد هيمن التيار الاسلامي الثوري من حيث القيادة والشعارات والتوجهات على الانتفاضة في المحافظات الجنوبية والوسطى.

كان شعار (يسقط صدام حسين) تصوراً جماعياً للمنتفضين المدفوعين بحماسهم للحرية، و لم تحمل الانتفاضة في ثناياها خصومة مذهبية طائفة رغم إعلانها الهوية الشيعية خاصة؛ لكنها في الوقت نفسه لم تجنِ من إعلانها هويتها الشيعية غير الأذى، فلم تحصل على أي اعتراف أو مساندة حقيقية او دعم اقليمي ودولي يؤمن لها الاستمرارية، حتى ايران الدولة الشيعية الوحيدة بالمنطقة لم تقدم الدعم المستحق للانتفاضة؛ خشية على مصالحها.

فبسب هويتها فشلت الانتفاضة في تحقيق اهدافها والتخلص من النظام الدكتاتوري؛ بعد وقوف دول التحالف وعلى رأسهم الولايات المتحدة الامريكية موقف الداعم لقوات النظام

الصدامي البعثي؛ بعد ان اعطوا الضوء الاخضر بقمع الانتفاضة واسقاطها في المهد ، فتحركت قوات الحرس الجمهوري والخاص وعناصر الامن والمخابرات تحت امرة قيادات حزب البعث لقمع الانتفاضة وضمن محاور عدة مستخدمة القوة العسكرية المفرطة واهمها الطائرات الحربية والدبابات والمدفعية، برغم وضوح الهوية الوطنية للانتفاضة الشعبانية ألا أنها تعرضت الى التشكيك والتشويه من قبل أعداء الشعب العراقي من ذوي النفوس المريضة والجهات التي أعمتها الطائفية المقيتة والهواجس المختلفة التي وقفت سداّ دون اسقاط النظام الدكتاتوري عام ١٩٩١. بدءً بحرمانها من أي سند إعلامي محايد سواءً على الصعيد الإقليمي أو الدولي، وانتهاءً بالتوسلات المعروفة لرؤساء الدول الكبرى ومنهم بوش (الأب) بهدف الإبقاء على النظام الدكتاتوري والحيلولة دون اسقاطه من قبل الجماهير الثائرة في ذلك الحين، وللأسف فقد كان لهم ما أرادوا آنذاك؛ بعد ان ساعدت الاجراءات التي اتخذتها الرئيس جورج بوش (الأب) بعد انتهاء المعارك صدام على الخروج من عاصفة النار وهو ما زال على رأس السلطة في العراق، التي لم ينفرط عقدها، مع بقاء جهاز الدولة القمعي، وقوة كافية يستطيع بها ممارسة سلطته برغم انهيار مركز العراق الاقليمي والدولي.

وأخيراً شكلت الانتفاضة الشعبانية صفحة مهمة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، وأعطت درساً في المقاومة والرفض للسياسات الديكتاتورية والاستبدادية والطائفية والعنصرية البغيضة، وحافزا في النهضة والثورة وعدم مهادنة الظالمين او السكوت عن جرائمهم وتجاوزاتهم ضد أبناء الشعب . وكذلك شكلت البواكير الأولى لعملية إسقاط النظام البعثي الحاكم ، وشجعت الناس على التجاسر والتطاول على السلطة الطائفية والعنصرية ، وكسرت حاجز الخوف والتردد التي زرعها النظام عند أغلبية العراقيين بفضل القمع والتعذيب والإعدام. وهي تعد أول ثورة شعبية ضد الاستبداد في العالم العربي ووقد سبقت ثورات الربيع العربي التي حصلت عام ٢٠١١ بعشرين عاماً.

---

[١] – عبد الرضا عوض، الانتفاضة الشعبانية في الحلة، ط٣، دار الفرات الاعلامية ،بابل ، ٢٠١٢،ص ٢٥.

[٢] – عبد الرضا عوض، المصدر السابق، ص ٢٥..

[٣] – جاريث ستانسفيلد، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ت: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، ٢٠٠٩، ص١٣٢.

[٤] – كنعان مكَية، جمهورية الخوف، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٨٠.

[٥] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص١٣٢.

[٦] – عبد الرضا عوض، المصدر السابق، ص ص ٢١-٢٢.

[٧] – سعد البزاز، حرب تلد أخرى ، التاريخ السري لحرب الخليج؛ ط١، الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٢ . ص ١٦٨

[٨] – نزار الخزرجي : هو رئيس اركان الجيش العراقي السابق .

[٩] – نزار الخزرجي، دفاتر الحاضر والماضي، حوارات من سلسلة " يتذكر" نشرتها جريدة الحياة، بين ٢٨ تشرين الثاني/ و٢ كانون الاول ٢٠٠٢، اجرى الحوارات غسان شربل. ص٤٣. شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت .https://www.noor-book.com /

[١٠] – نزار الخزرجي، المصدر السابق، ص٤٣.

[١١] – سعد بن خلف العفنان، عاصفة الصحراء ومقدماتها(١٤١١هـ – ١٩٩١م)، مطابع النهضة الوطنية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١، ص١٣.

[١٢] – سعد بن خلف العفنان، المصدر السابق، ص ٤٥.

[١٣] – سعد بن خلف العفنان، المصدر السابق، ص ١٠١.

[١٤] – نزار الخزرجي، المصدر السابق، ص٤٣.

[١٥] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص ص١٣٨ – ١٣٩.

[١٦] – محمد حسن جياد، الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١، مركز النور للدراسات، ٢٠٠٧/١٢/١١ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت http://www.alnoor.se/article.asp?id

[١٧] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص ١٣٩.

[١٨] – المصدر نفسه.

[١٩] – سعد بن خلف العفنان، المصدر السابق، ص ١٩.

[٢٠] – المصدر نفسه.

[٢١] – محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، ط١،مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢م،ص ص ٥٣٩ –٥٤٧.

[٢٢] – محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص٥٤٩.

[٢٣] – سعد بن خلف العفنان، المصدر السابق، ص ٩١.

[٢٤] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص ص ١٤٠–١٤١.

[٢٥] – محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ص ٥٥٠– ٥٥٨.

[٢٦] – ماجد الماجد، انتفاضة الشعب العراقي ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ط١، دار الوفاق للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م.

[٢٧] – رعد مجيد الحمداني، قبل ان يغادرنا التاريخ، ط١ . الدار العربية للعلوم ، القاهرة ٢٠٠٧، ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

[٢٨] – كانت هذه الصواريخ معروفة قبل حرب الخليج باسمي الحسين والعباس وهما من اكثر الاولياء تمتع بتبجيل الشيعة العراقيين وخشوعهم .انظر: اسحق نقاش، شيعة العراق، ت: عبد الاله النعيمي، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، دمشق، ١٩٩٦م، ص ص٥٠١–٥٠٢.

[٢٩] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٣.

[٣٠] – رعد مجيد الحمداني، المصدر السابق، ص ص٢٣٨– ٢٤١.

[٣١] – المصدر نفسه.

[٣٢] – محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ٥٦٧

[٣٣] – رعد مجيد الحمداني، المصدر السابق، ص ص٢٤٢– ٢٤٣.

[٣٤] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت / https://www.wattpad.com

[٣٥] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٣.

[٣٦] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص١٤٣.

[٣٧] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، منشورات الجمل، كولونيا– المانيا، ٢٠٠٥، ص ص ٤٩–٥٠.

[٣٨] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت / https://www.wattpad.com

[٣٩] - المصدر نفسه.

[٤٠] – وفيق السامرائي، حطام البوابة الشرقية، دار القبس للصحافة والنشر، الكويت، ١٩٩٧، ص ٤١٣.

[٤١] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص١١.

[٤٢] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ص ٥٠٣– ٥٠٤.

[٤٣] - رعد مجيد الحمداني : كان يشغل قائد الفيلق الثاني في قوات الحرس الجمهوري، انظر: شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت https://www.google.com/search?q

[٤٤] – رعد مجيد الحمداني، المصدر السابق، ص٢٤٣.

[٤٥] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص١١.

[٤٦] – المصدر نفسه.

[٤٧] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص١٤١.

[٤٨] – وفيق السامرائي، المصدر السابق، ص ص٤١٢– ٤١٣.

[٤٩] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص١٤٦.

[٥٠] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت / https://www.wattpad.com

[٥١] – محمد حسن جياد، الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١، مركز النور للدراسات، ٢٠٠٧/١٢/١١ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت http://www.alnoor.se/article.asp?i

[٥٢] – محمد طاهر الصفار ، الانتفاضة الشعبانية المباركة .. امتداد للطف الخالد، الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت https://imamhussain.org/literature

[٥٣] – المصدر نفسه.

[٥٤] – سعد بن خلف العفنان، المصدر السابق، ص ٤١.

[٥٥] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص١٤٩.

[٥٦] – المصدر نفسه.

[٥٧] – وفيق السامرائي، المصدر السابق، ٤١١

[٥٨] – رعد مجيد الحمداني ، المصدر السابق، ص٢٢٤.

[٥٩] – المصدر نفسه

[٦٠] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٤.

[٦١] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص٤١٢

[٦٢] – نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

https://www.wattpad.com/

[٦٣] – المصدر نفسه.

[٦٤] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص ص٤١١–٤١٢

[٦٥] –المصدر نفسه.

[٦٦] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص ص ٤١٣– ٤١٤.

[٦٧] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٧.

[٦٨]– جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص١٤٥.

[٦٩] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص ٧٢.

[٧٠] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص ٧٢.

[٧١] – رعد مجيد الحمداني ، المصدر السابق، ص٢٢٤

[٧٢] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٤.

[٧٣] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص١٤٥

[٧٤] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص١٤٥

[٧٥] – المصدر نفسه.

[٧٦] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص ٨٤.

[٧٧] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص٨٠.

[٧٨] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

/ https://www.wattpad.com

[٧٩] – المصدر نفسه

[٨٠] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

/ https://www.wattpad.com

[٨١] – هادي حسن عليوي، الانتفاضة الشعبانية العام ١٩٩١، ١٩ / ايار / ٢٠١٦ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

https://kitabat.com

[٨٢] – المصدر نفسه.

[٨٣] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٦.

[٨٤] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص١٤٣.

[٨٥] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص ص ٨٦–٨٨.

[٨٦] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

/ https://www.wattpad.com

[٨٧] – محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ٥٦٨.

[88] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص ص ٨٧-٨٨.

[89] - سعد صالح جبر: وهو سياسي عراقي. ولد عام ١٩٣٠ وتوفى ٢٠١٥ وهو ابن السياسي العراقي الراحل ورئيس الوزراء الأسبق صالح جبر، هو الابن الوحيد من الذكور لوالده صالح جبر من أمه جميلة شهاب العساف من الفلوجة في محافظة الأنبار، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت https://www.google.com/

[90] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص١٤٩.

[91] – محمد حسن جياد، الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١، مركز النور للدراسات، ٢٠٠٧/١٢/١١ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت http://www.alnoor.se/article.asp?id

[92] – جاسم المطير الانتفاضة..مداولة وتحليل حول هويتها ودروسها، الحوار المتمدن، العدد ٦٢، ٢٠٠٢/٢/١٢ . شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

[93] – سعد العفنان، المصدر السابق، ص ص ٣٤- ٥٤.

[94] - جاسم المطير الانتفاضة..مداولة وتحليل حول هويتها ودروسها، الحوار المتمدن، العدد ٦٢، ٢٠٠٢/٢/١٢. شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

[95] – محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ٥٦٩.

[96] – محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص ٥٦٩.

[97] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص ص ٨٧-٨٨.

[98] – اسحق نقاش، المصدر السابق، ص ص٥٠٤-٥٠٥ .

[99] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق،ص ص١٤٥-١٤٦.

[100] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص٧٨.

[101] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص٨٦.

[102] – كنعان مكَية، جمهورية الخوف، المصدر السابق، ص١٠.

[103] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص ٤١٧.

[104] – المصدر نفسه.

[105] – الامير خالد بن سلطان بن عبد العزيز ال سعود : ولد في ٢٤ سبتمبر ١٩٤٩ وهو عسكري سعودي ونائب وزير الدفاع السعودي حتى عام ٢٠١٣م كانت القوات السعودية المشاركة في حرب الخليج ١٩٩١ تحت قيادة مشتركة للأمير خالد بن سلطان والجنرال الأمريكي نورمان شوارزكوف. شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت https://www.marefa.org

[106] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت
https://www.wattpad.com/

[107] - المصدر نفسه

[١٠٨] هـادي حسـن عليـوي، الانتفاضـة الشـعبانية العـام ١٩٩١، ١٩ / ايـار / ٢٠١٦ شـبكة المعلومـات والاتصالات الدولية الانترنيت
https://kitabat.com

[١٠٩] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت
/ https://www.wattpad.com

[١١٠] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت
/ https://www.wattpad.com

[١١١] - المصدر نفسه

[١١٢] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص٣٤.

[١١٣] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥٠٥.

[١١٤] –المصدر نفسه.

[١١٥] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص٧٨.

[١١٦] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص٨٨.

[١١٧] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص٩٣.

[١١٨] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص ٤٢٠

[١١٩] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص ص٦٠-٦٢.

[١٢٠] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص ٤٢٥

[١٢١] – اسحاق النقاش، المصدر السابق، ص ٥١٣.

[١٢٢] – جاريث ستانسفيلد، المصدر السابق، ص١٥٠.

[١٢٣] – ماجد الماجد، المصدر السابق، ص٦١.

[١٢٤] – المصدر السابق، ص٦٦.

[١٢٥] – كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، المصدر السابق، ص٢٢١.

[١٢٦] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت
/ https://www.wattpad.com

[١٢٧] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت
/ https://www.wattpad.com

[١٢٨] - المصدر نفسه

[١٢٩] – هـادي حسـن عليـوي، الانتفاضـة الشـعبانية العـام ١٩٩١، ١٩ / ايـار / ٢٠١٦ شـبكة المعلومـات والاتصالات الدولية الانترنيت
https://kitabat.com

[١٣٠] - نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت
/ https://www.wattpad.com

[١٣١] – الانتفاضـة الشـعبانية، شـبكة المعلومـات والاتصـالات الدوليـة الانترنيـت
https://ar.wikipedia.org/wiki/

[١٣٢] - عمار العبودي ، الشرارة الاولى للربيع العربي الانتفاضة الشعبانية.. مواقف خالدة طرزها التاريخ في ذاكرة العراقيين، جريدة الشرق السبت ٢٠١٤/٣/٢٩ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت http://alsharqpaper.com/news.php?action=view&id

[١٣٣] – وفيق السامرائي ، المصدر السابق، ص ٤٢٥

الهوامش ومصادر البحث

١- اسحق نقاش، شيعة العراق، ت: عبد الاله النعيمي، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، دمشق، ١٩٩٦م.

٢- جاريث ستانسفيلد، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، ت: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ابو ظبي، ٢٠٠٩.

٣- جاسم المطير الانتفاضة ..مداولة وتحليل حول هويتها ودروسها، الحوار المتمدن، العدد ٦٢، ٢٠٠٢/٢/١٢ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

٤- رعد مجيد الحمداني، قبل ان يغادرنا التاريخ، ط١ . الدار العربية للعلوم ، القاهرة ٢٠٠٧.

٥- سعد البزاز، حرب تلد أخرى ، التاريخ السري لحرب الخليج؛ ط١، الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٢ .

٦- سعد بن خلف العفنان، عاصفة الصحراء ومقدماتها(١٤١١هـ – ١٩٩١م)، مطابع النهضة الوطنية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١.

٧- عبد الرضا عوض، الانتفاضة الشعبانية في الحلة، ط٣، دار الفرات الاعلامية ،بابل ، ٢٠١٢.

٨- عمار العبودي ، الشرارة الاولى للربيع العربي الانتفاضة الشعبانية.. مواقف خالدة طرزها التاريخ في ذاكرة العراقيين، جريدة الشرق السبت ٢٠١٤ /٣/٢٩ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت http://alsharqpaper.com/news.php?action=view&

٩- كنعان مكَية، جمهورية الخوف، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٩.

١٠- كنعان مكيَة، القسوة والصمت الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي، منشورات الجمل، كولونيا– المانيا، ٢٠٠٥.

١١- ماجد الماجد، انتفاضة الشعب العراقي ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ط١، دار الوفاق للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م.

١٢- محمد حسن جياد، الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١، مركز النور للدراسات، ٢٠٠٧/١٢/١١ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

http://www.alnoor.se/article.asp?id

١٣- محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، ط١،مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٤- محمد طاهر الصفار ، الانتفاضة الشعبانية المباركة .. امتداد للطف الخالد، الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

https://imamhussain.org/literature

١٥- نجيب الصالحي، الزلزال، شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت

/ https://www.wattpad.com

١٦- نزار الخزرجي، دفاتر الحاضر والماضي، حوارات من سلسلة " يتذكر" نشرتها جريدة الحياة، بين ٢٨ تشرين الثاني/ و٢ كانون الاول ٢٠٠٢، اجرى الحوارات غسان شربل. شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت https://www.noor-book.com /

١٧- هادي حسن عليوي، الانتفاضة الشعبانية العام ١٩٩١، ١٩ / ايار / ٢٠١٦ شبكة المعلومات والاتصالات الدولية الانترنيت.

https://kitabat.com

١٨- وفيق السامرائي، حطام البوابة الشرقية، دار القبس للصحافة والنشر، الكويت، ١٩٩٧.